مغامرة

إيهام المهندس

مغامرات شيرلوك هولمز

مغامـرة
إبهام المهندس

تأليف
آرثر كونان دويل

ترجمة
محمد يحيى عبدالكريم

أرثر كونان روبل

ولد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال فى إدنـبرة فى إسكتلندا فى الثانى والعشرين من آيار (مايو) عام ١٨٥٩م، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاما.

وكان من مدرسيه فى الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف بل، وهو الذى أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز الذى ابتكرها بعد ذلك.

فى عام ١٨٨٢م حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحًا وخبيرًا فى التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيبًا على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته فى منزل صغير استأجره فى بعض ضواحى

بورتسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلا فاتجه إلى الكتابة أملا فى الحصول على بعد الدخل الإضافى، وقد كتب بعضا من قصص المغامرات لمجلات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلا، وفشلت روايته الأولى فى العثور على ناشر.

وفى غمرة إحساسه باليأس فكر فى أساليب الدكتور بل فى التشخيص وقرر أن يستخدمها فى قصة يكون بطلها واحدًا من رجال التحرى، وهكذا ولد شيرلوك هولمز فى رواية (دراسة قرمزية) التى نشرها دويل سنة ١٨٨٧م.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته فى حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة فى أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلا عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى.

وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حل المشكلة سريعا إذ قال:

(سوف تجدون رجلكم فى غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب إلى هناك بمحض إرادته.

إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمد، والحفل الذى كان فيه ينتهى فى الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلابد أنه كان ينوى القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى اسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل)، وقد عثر على الرجل فى إدنبرة فعلاً!.

كان آرثر كونان دويل رياضيًّا متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينج والكروكيت، وكان خطيبًا مفوهًا ومحاضرًا ناجحًا ومحاورًا بارعًا، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة فى الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

وفى عام ١٩٠٠م تطوع الدكتور دويل فى حرب البوير (فى جنوب أفريقيا) وصار كبيرًا للجراحين فى واحد من المستشفيات

الميدانية، وفى نهاية الحرب منح وسام الفروسية ولقب (سير) تقديرًا لخدماته.

وقد أصدر بعد عودته إلى إنجلترا كتابًا مهمًّا عن هذه الحرب.

وتوفى السير آرثر كونان دويل فى السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠م بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عامًا على أول ظهور علنى لهذه الشخصية الخارقة.

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية فى التاريخ، بل إنه يكاد يفوق فى شهرته كثيرًا من مشاهير العالم الحقيقيين، وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذى درسه فى كلية الطب.

كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة فى الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقى، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية

الفذة، فهو لم يكن ماهرًا فقط فى التعرف على علل المرضى، بل وفى معرفة شخصياتهم ومهنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضا.

كان يقول لأحد المرضى مثلا:

(أنت ضابط سرح من الجيش حديثا، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعانى من داء الفيل)، وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلا إن الرجل يبدو جنديا من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثا، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التى توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التى لوحتها الشمس والمرض الذى يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!.

(ولد) شيرلوك هولمز -فى عالمه الخيالى- سنة ١٨٥٤م وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة (محقق خاص) منذ نحو سنة ١٨٧٨م، وكان يقيم فى شارع بيكر فى العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذى يقيم فيه هو (٢٢١ ب شارع

بيكر) هو أشهر عنوان فى العصر الحديث! وقد برع هولمز فى كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقى، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذى يرافقه فى قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رواية القصص الذى يقصها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز فى كثير من مغامرات بوارو)، وهو طبيب ولد نحو سنة ١٨٥٢م وتخرج طبيبًا سنة ١٨٧٨م، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠م وأمضى مدة خدمته فى أفغانستان مع الجيش البريطانى، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب فى إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز فى مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد فى أوائل سنة ١٨٨١م، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط، وقد تزوج الدكتور واطسون فى أواخر سنة ١٨٨٦م، لكن دويل لم يشأ أن يعرفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

فى قصة (المشكلة الأخيرة) التى نشرت فى نهاية عام ١٨٩٣م (قتل) دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجًا عارمًا من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى فى أواخر عام ١٩٠٣م ليستأنف حل القضايا الغامضة.

قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت فى عام ١٨٧٩م، وهى قصة قصيرة عنوانها (إفادة السيد جفسون)، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك فكانت (دراسة قرمزية)، وقد صدرت فى بريطانيا عام ١٨٨٧م فلم يكد يحس بها أحد، لكنها حققت نجاحًا معتدلاً فى الولايات المتحدة.

وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهى رواية (علامة الأربعة) التى نشرت عام ١٨٩٠م فوطدت شخصية هولمز فى بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفى السنة التالية (١٨٩١م) بدأ نشر مجموعة (مغامرات شيرلوك هولمز) فى حلقات شهرية فى مجلة (ستراند)، بدءًا بقصة (فضيحة فى بوهيميا) التى ظهرت فى عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق فى تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه

الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشغل الناس فى أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتى عشرة نشر آخرها فى عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢م، ثم ظهرت سلسلة (ذكريات شيرلوك هولمز) التى نشرت فى اثنتى عشرة حلقة أيضا صدر أولها فى كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢م ويبدو أن دويل بدأ يمل عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك (قتله) فى آخر قصة من هذه المجموعة فى معركة مع البروفسور موريارتى الشرير عند شلالات رايشنباخ فى سويسرا!.

وقد نشرت هذه القصة (وعنوانها (المشكلة الأخيرة) فى كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣م.

وثار جمهور دويل غضبا وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية.

ثم وافق أخيرًا بسبب الإلحاح الذى لم ينقطع على (بعث) شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل فى قصة (مغامرة المنزل الخالى) التى

نشرت فى مجلة (ستراند) فى تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣م.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، فقد تبين أنه لم يقتل على الإطلاق، وفى تلك القصة (المنزل الخالى) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شق طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق فى وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة، وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز فى مجلة (ستراند) فى بريطانيا ومجلة (كوليرز) فى أمريكا حماسة بالغة فى نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة، واستمر نشر سلسلة (عودة شيرلوك هولمز) (التى بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة (كلب عائلة باسكرفيل)، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١م إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، وهى أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة (الظهور الأخير) التى تضم سبع

قصص نشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨م وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م، ثم الرواية الطويلة الرابعة (وادى الرعب) (٩/ ١٩١٤م – ٥/ ١٩١٥م)، وهى أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقاد، وأخيرًا سلسلة (قضايا شيرلوك هولمز) (١٠/ ١٩٢١م – ٤/ ١٩٢٧م) التى نشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماما من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتبًا كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومانسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتبًا غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مائة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هى شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هى (العالم المفقود)، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة،

بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتابًا وكتيبًا فى الشئون الاجتماعية والسياسة والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذى سماه (ذكريات ومغامرات).

رسام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عدد من الرسامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنجليزى سدنى باجيت الذى صاحب روايات هولمز وقصصه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذى بلور صورة شيرلوك هولمز وطبعها فى عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداء خلف سدنى باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذى كان قد نجح فى رسم رسومات قصتى (جزيرة الكنز) و(روبنسون كروزو)، لكن خطأ فى الاتصالات تسبب فى دعوة سدنى، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست الأولى التى نشرتها مجلة (ستراند) فى النصف الثانى من عام ١٨٩١م، وعلى إثر النجاح الهائل الذى لقيته هذه القصص مع

رسوماتها التصق سدنى باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك فى عالم شيرلوك هولمز، وقد استمر سدنى باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨م، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسمًا زينت ٣٨ قصة.

وحين توفى سدنى استعانت مجلة (ستراند) برسامين آخرين، فشارك فى رسم السلسلة الجديدة (الظهور الأخير) كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدنى، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدى وأليك بول وجوزف سمبسون، أما السلسلة الأخيرة – وهى (قضايا شيرلوك هولمز) – فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا فى نسخة هولمز البريطانية التى نشرتها مجلة (ستراند) أما فى أمريكا فقد استعانت مجلة (كوليرز) بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل، ومنهم وه هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

إبهام المهندس

هذه الأحـداث التى أهم بتلخيصها وقعت فى صيف عام ١٨٨٩م، بعد زواجى بوقت قصير.

وكنت قد عدت إلى مزاولة الطب فى عيادة مدنية وتركت أخيرًا مسكن هولمز فى شارع بيكر، رغم أننى كنت أزوره باستمرار، وقد ازدهرت عيادتى تدريجيًّا.

ولأننى أعيش على مسافة غير بعيدة من محطة بادنغتون فقد صار من مرضاى الذين يترددون على عيادتى بعض موظفى المحطة، وأخذ أحدهم (وكنت قد عالجته من مرض مؤلم مزمن) يعلن عن مزاياى دون كلل ويسعى لأن يرسل إلى عيادتى كل صاحب معاناة ممن يملك عليهم تأثيرًا.

أيقظتنى الخادمة حين طرقت علىَّ الباب فى صباح أحد الأيام قبل

السابعة بقليل لتعلن على قدوم رجلين من محطة بادنغتون، قائلة إنهما ينتظران فى غرفة الكشف، فارتديت ملابسى بسرعة لأننى أعرف – بالتجربة– أن حالات موظفى السكك الحديدية نادرًا ما تكون تافهة، وعجلت بالنزول إلى الطابق السفلى، وبينما أنا أنزل خرج عميلى القديم من الغرفة وأغلق الباب خلفه بإحكام، ثم همس قائلا وهو يهز بإبهامه فوق كتفه:

لقد أحضرته إليك إنه بخير.

أوحت إلىَّ تصرفاته بأنه قد قام بحبس مخلوق غريب فى غرفتى، فسألته:

وما هو الأمر؟

فهمس قائلا:

إنه مريض جديد، فكرت فى إحضاره بنفسى حتى لا يستطيع التملص، وها هو هنا بأمن وسلام، يجب أن أنصرف الآن يا دكتور فعندى واجبات مثلك تمامًا.

ثم خرج هذا المشجع الوفى دون أن يسمح لى بشكره!.

دخلت إلى غرفة الفحص فوجدت شابًّا جالسًا بالقرب من الطاولة وقد ارتدى بشكل محافظ بدلة من الجوخ المنقط ووضع على رأسه قبعة من القماش الناعم، وقد نزعها عن رأسه ووضعها على كتبى، وكانت إحدى يديه مربوطة بمنديل مبقع ببقع الدم.

كان شابًّا لا يزيد عمره عن الخامسة والعشرين وله وجه رجولى قوى، ولكنه كان شاحبًا جدًّا وأعطانى انطباعًا بأنه يعانى من اضطراب شديد احتاج إلى كل تركيزه ليتحكم فيه.

قال:

أنا آسف لأننى قرعت بابك فى هذا الوقت المبكر يا دكتور، ولكن حادثة خطيرة جدًّا وقعت لى فى أثناء الليل، فجئت بالقطار هذا الصباح، وحين سألت فى محطة بادنغتون عن طبيب تكرم شخص نبيل باصطحابى إليك، وقد أعطيت الخادمة بطاقتى التعريفية ولكن يبدو أنها وضعتها على تلك الطاولة الصغيرة ولم توصلها إليك.

رفعت البطاقة ونظرت إليها وقرأت:

(السيد فكتور هاثرلى، مهندس هيدروليكى، ١٦ (أ) شارع

فكتوريا، الطابق الثالث).

كانت تلك هى صفات زائرى الصباحى واسمه وعنوانه، وقلت له وأنا أجلس على كرسى المكتب:

ــ أعتذر لأننى تركتك تنتظر لبعض الوقت، يبدو أنك قد وصلت لتوك من رحلة ليلية كما فهمت، وهذه الرحلات تكون رتيبة فى العادة.

فقال:

آه، لا يمكن القول بأن ليلتى كانت رتيبة.

ثم ضحك بحرارة شديدة بصوت رنان عال ومال إلى الخلف فى كرسيه واهتز جنباه، فثارت غريزتى الطبية ضد هذا الضحك وصحت قائلا:

توقف، تمالك نفسك.

ثم صببت له بعض الماء من الإبريق الزجاجى، ولكن عملى هذا بقى بلا فائدة، فقد انطلق فى واحدة من تلك الانفجارات الهستيرية التى تصيب أصحاب الشخصيات القوية بعد مرورهم بأزمة هائلة

وتخطيهم لها، إلا أنه عاد إلى طبيعته ثانية بعد وقت قصير.

ولكنه كان متعبًا جدًّا وشديد الشحوب، وشهق قائلا:

لقد تصرفت بحماقة.

لا، على الإطلاق، اشرب هذا الماء.

بدأ اللون يعود إلى خديه الشاحبين وقال:

هذا أفضل، والآن يا دكتور أرجو أن تهتم بإبهامى، أو بالأحرى بالمكان الذى كان فيه إبهامى.

ثم فك المنديل ورفع يده التى صدمتنى رؤيتها برغم صلابة أعصابى، فقد رأيت أربعة أصابع وسطحًا بشعًا إسفنجى الشكل أحمر اللون فى مكان الإبهام الذى كان قد قطع أو اقتلع من جذوره!.

صحت قائلا:

يا إلهى!

هذه إصابة رهيبة، لابد أنك نزفت كثيرًا.

نعم، بالفعل كما أننى فقدت وعيى عندما وقعت الحادثة،

وأحسب أننى غبت عن الوعى لمدة طويلة.

وعندما أفقت ووجدت الإصابة مازالت تنزف فربطت أحد أطراف منديلى حول الرسغ بشدة وثبته إلى الأعلى بغصن صغير.

ممتاز، كان من المفروض أن تكون جراحًا.

إن الأمر مرتبط بحركة السوائل كما ترى، وهذا يدخل ضمن اختصاصى.

فقلت وأنا أفحص الجرح:

لقد حدث هذا الجرح بواسطة أداة حادة وثقيلة جدًّا.

فقال:

إنه شىء مثل الساطور.

حادثة على ما أظن؟

على الإطلاق.

ماذا إذن؟

هجوم إجرامى؟

إجرامى جدًّا.

إنك تخيفنى.

مسحت الجرح ونظفته ثم ضمدته، وأخيرًا غطيته بقطعة من القطن وضمادات معقمة، وقد استلقى الرجل دون أى حراك لكنه راح يعض على شفتيه من حين إلى آخر، وعندما انتهيت سألته:

ما رأيك فى هذا العمل؟

ممتاز، أشعر الآن وكأننى رجل جديد، فقد كنت أشعر بضعف شديد، ولكننى مررت بالكثير.

ربما كان من الأفضل أن لا تتحدث عن الأمر، فمن الواضح أن هذا سيجهد أعصابك.

آه، ليس الآن، فأنا مضطر إلى قص حكايتى على الشرطة، ولولا هذا الجرح الذى يصلح دليلا مقنعا على ما حدث لكنت قد فوجئت لو صدقوا روايتى، إنها قصة غريبة جدًّا ولا أملك أى دليل يدعمها، وحتى لو صدقونى فالأدلة التى أستطيع تقديمها لهم مبهمة جدًّا، حتى لأشك فى أن العدالة ستأخذ مجراها.

هتفت قائلا:

لو أنها معضلة ترغب فى حلها فأنا أوصيك بأن تلجأ إلى صديقى السيد شيرلوك هولمز قبل أن تذهب إلى الشرطة.

فأجاب زائرى:

ــ آه، لقد سمعت بهذا الرجل وسوف يسرنى أن يتولى هذه القضية بنفسه، هل يمكن أن تعطينى بطاقة تعريف لأقدمها إليه؟

سوف أقوم بأفضل من ذلك، سآخذك إليه بنفسى.

سأكون ممتنًّا لك غاية الامتنان.

سنطلب عربة أجرة ونذهب معا، وهكذا نصل فى الوقت المناسب لتناول إفطار بسيط معه أتحس أنك قادر على ذلك؟

نعم، فلن أشعر بالراحة حتى أحكى قصتى.

سيطلب خادمى عربة أجرة إذن، وسأكون معك بعد لحظة.

وأسرعت إلى الطابق العلوى لأشرح الأمر لزوجتى باختصار، وفى خلال خمس دقائق كنت برفقة الشخص الذى تعرفت إليه لتوى

فى عربة صغيرة تقودنا إلى شارع بيكر.

***

٣كما توقعت كان شيرلوك هولمز مسترخيًا فى غرفة الجلوس وقد ارتدى رداءه المنزلى وانهمك فى قراءة صفحة الإعلانات الشخصية فى جريدة التايمز.

استقبلنا بطريقته الهادئة اللطيفة وأمر بإحضار المزيد من شرائح اللحم والبيض ثم شاركنا وجبة إفطار مشبعة، وعندما انتهينا دعا صاحبنا الجديد إلى الجلوس على الأريكة ووضع وسادة تحت رأسه وكأسًا من الماء فى متناول يده، ثم قال:

من الواضح أن تجربتك لم تكن عادية يا سيد هاثرلى، أرجو أن ترقد على الأريكة وترتاح كما لو كنت فى بيتك، وأخبرنا بما تستطيع، ولك أن تتوقف عندما تتعب.

فقال مريضى:

شكرًا لك، ولكننى أشعر بتحسن بعد أن ضمد الطبيب جرحى، وأظن أن إفطارك قد أكمل الشفاء، سآخذ من وقتك الثمين أقل

وقت ممكن، وسأبدأ بقص تجربتى الغريبة على الفور.

جلس هولمز فى مقعده الكبير المريح بتعبير متكاسل وعينين نصف مغلقتين تخفيان وراءهما طبيعته اليقظة المتحمسة، وجلست أنا فى المقعد المقابل، وأخذنا نستمع فى صمت إلى القصة الغريبة التى قام زائرنا بقص تفصيلاتها علينا.

قال الزائر:

يجب أن تعرفا أننى يتيم وأعزب وأسكن وحدى فى مسكن فى لندن، ومهنتى هى مهندس هيدروليكى، وقد حصلت على خبرة كبيرة خلال السنوات السبع التى تدربت فيها فى شركة فينر وماثسون المعروفة فى غرينتش.

ومنذ عامين أتممت فترة التدريب وحصلت أيضا على مبلغ جيد من المال بعد وفاة والدى، وعندها قررت أن أبدأ عملا خاصا واستأجرت موقعًا مناسبًا للعمل فى شارع فكتوريا.

لابد أن كل شخص يجد فى بداياته المستقلة الأولى فى العمل تجربة كئيبة، وبالنسبة لى كان الأمر كذلك بشكل كبير، فخلال عامين لم

أحصل إلا على ثلاث استشارات ومهمة واحدة صغيرة، هذا هو كل ما جلبه لى عملى.

وقد بلغ دخلى الإجمالى مبلغا قدره سبعة وعشرون جنيهًا وعشرة شلنات، وكنت أنتظر كل يوم فى مقر عملى من التاسعة صباحًا حتى الرابعة بعد الظهر، حتى بدأت أخيرًا أقتنع أنه لم يكن من المفروض أن أفتح مكتبى الخاص على الإطلاق.

وفيما كنت أهم بمغادرة المكتب فى الأمس دخل سكرتيرى ليقول إن سيدًا محترمًا ينتظر ويرجو رؤيتى بخصوص عمل، وأحضر بطاقة تعريف مطبوعًا عليها اسم الكولونيل ليساندر ستارك.

وفى أعقابه دخل الكولونيل بنفسه، وهو رجل يزيد حجمه على المتوسط ولكنه نحيف جدًّا، ولا أظن أنى رأيت رجلا بمثل هذه النحافة من قبل، فقد ظهر وكأن كل وجهه قد تحول إلى أنف وذقن حادين.

بينما بدت بشرة خديه مشدودة جدًّا فوق عظامه الناتئة، وإن بدا واضحًا أن هذا الهزال جزء من طبيعة بنيته الجسمية وليس من

جراء مرض عضال، فقد كانت له عينان لامعتان وبدت خطواته سريعة وتصرفاته واثقة، وكانت ملابسه بسيطة ولكنها مرتبة وعمره – بتقديرى– أقرب إلى الأربعين منه إلى الثلاثين.

قال بلكنة ألمانية بسيطة:

لقد زكوك لى يا سيد هاثرلى، ليس لكونك ماهرًا فحسب بل أيضا كرجل ملتزم وقادر على حفظ السر.

فانحنيت وأنا أشعر بالزهو كأى شاب يسمع مثل هذا الكلام، وقلت:

هل يمكننى أن أسأل من الذى أعطانى هذه التزكية؟

حسنا، ربما كان من الأفضل أن لا أخبرك الآن، كما أننى عرفت من المصدر نفسه أنك يتيم وأعزب وتعيش وحيدًا فى لندن.

فأجبته قائلا:

ــ هذا صحيح تمامًا، ولكن اعذرنى لو قلت إننى لا أعرف كيف تدعم كل هذه التفصيلات مؤهلاتى المهنية، فقد فهمت أنك تود محادثتى فى مسألة عمل.

بلاشك، ولكنك ستكتشف أن كل ما أقوله لك فى صميم الموضوع، فأنا أقدم لك عملا، ولكن الكتمان المطلق شرط أساسى فيه، الكتمان المطلق، أتفهم؟

وبالطبع فإننا نتوقع ذلك من رجل وحيد أكثر مما نتوقعه من شخص يعيش فى أحضان عائلته.

فقلت:

إذا وعدتك بالسرية فيمكنك أن تتأكد من أننى سأحافظ عليها.

نظر إلىَّ بحدة شديدة وأنا أتكلم، وبدا لى أننى لم أقابل عينا بمثل هذا التشكك والتفحص من قبل، وأخيرًا قال:

أتعدنى بذلك؟

نعم، أعدك.

الكتمان المطلق والكامل، قبل المهمة وفى أثنائها وبعدها؟ وأن لا تشير إلى الموضوع بتاتًا سواء بالكلام أو بالكتابة؟

لقد سبق وأعطيتك كلمتى.

فقال: ممتاز.

ثم هب واقفا فجأة وانطلق بسرعة البرق ليفتح الباب، كان الرواق خاليًا، وقال وهو يعود إلى مكانه:

كل شيء بخير، فأنا أعرف أن الموظفين قد ينتابهم الفضول ليعرفوا ما يخص أسيادهم، أما الآن فنستطيع التحدث بحرية.

سحب كرسيه فاقترب منى غاية الاقتراب، ثم عاد ليحدق إليَّ ثانية بنفس النظرة المتفحصة المتشككة، فانتابنى شعور بالنفور وشيء أشبه بالخوف بسبب التصرفات الغريبة للرجل الهزيل.

وحتى خوفى من فقدان عميل لم يردعنى عن إظهار نفاد صبرى، فقلت:

أرجو أن تخبرنى عن العمل يا سيدى، فوقتى ثمين.

كان هذا ما قلته لزائرى، وليغفر لى الله هذه الكذبة، فسألنى:

أيناسبك خمسون جنيهًا فى ليلة عمل؟

يناسبنى بشكل ممتاز.

أقول عمل ليلة، وإن كانت المهمة لن تستغرق أكثر من ساعة فى الحقيقة، فأنا أريد رأيك فى مكبس هيدروليكى لا يعمل كما ينبغى، وإذا ما قمت بإرشادنا إلى سبب العطل فسوف نقوم بإصلاحه بأنفسنا، ما رأيك بهذه المهمة؟

ــ يبدو العمل هينا والأجر سخيا.

تمامًا، نريدك أن تأتى إلينا الليلة فى القطار الأخير.

إلى أين؟

إلى بلدة آيفورد فى مقاطعة بيركشاير، إنها بلدة صغيرة بالقرب من حدود أكسفورد شاير وتبعد عن ربدنغ سبعة أميال، إذا ركبت القطار من محطة بادنغتون فسوف يصل بك فى نحو الساعة الحادية عشرة والربع.

ممتاز.

وسأحضر فى عربة لاستقبالك.

أمامنا مسافة لنقطعها بالعربة إذن؟

نعم، إن مسكننا الصغير بعيد فى الريف، فهو على بعد سبعة

أميال من محطة آيفورد.

إذن فلن نصل إلى المكان قبل منتصف الليل، فهل أجد قطارًا للعودة فى ذلك الوقت أم أننى سأضطر إلى قضاء الليلة هناك؟

يمكننا تدبير مكان لنومك بسهولة.

هذا غريب جدًّا، ألا يمكن أن أذهب فى وقت أكثر ملائمة؟

لقد قررنا أن من الأفضل أن تحضر فى وقت متأخر، ونحن ندفع لك – وأنت شاب غير معروف– أجرة نستطيع بها شراء رأى أكبر الخبراء فى مهنتك، وذلك لتعويضك عن أى إزعاج.

ولكن بالطبع إذا أردت الانسحاب من هذا العمل فالقرار عائد إليك.

فكرت فى الجنيهات الخمسين وكيف ستكون مفيدة جدا لى فقلت:

لا، أبدا، سيسعدنى أن أتكيف مع ما تريد، ولكننى أرجو أن أفهم ما تريدنى أن أفعله.

تمامًا، من الطبيعى أن يثير عهد السرية الذى أخذناه عليك

فضولك، وليست لديَّ أية نية فى إلزامك بشىء دون أن تعرف التفصيلات، هل أفترض أننا بأمان كامل من المتنصتين؟

تمامًا.

الوضع كما يأتى:

ـ أنت تعرف مسحوق القصر، وهو مسحوق يستعمل فى تبييض الثياب.

هذا المسحوق منتج ثمين ولا يوجد فى إنجلترا إلا فى أماكن قليلة.

أعرف ذلك.

وقد اشتريت منذ زمن قصير أرضًا صغيرة، صغيرة جدًّا، تبعد عن ريدنغ عشرة أميال، وحالفنى الحظ فاكتشفت ترسبات لمسحوق القصر فى أحد حقولى، وبفحصه وجدت أن تلك البقعة صغيرة نسبيا وأنها تمثل وصلة بين حقلين أكبر كثيرًا على اليمين وعلى اليسار، وكلاهما فى أراضى جيرانى.

هؤلاء الناس الطيبون غافلون تمامًا عن أن أرضهم تحتوى على

ذلك العنصر الذى يعادل فى قيمته منجمًا للذهب، وبطبيعة الحال رغبت فى شراء أراضيهم قبل أن يعرفوا القيمة الحقيقية.

ولكن من سوء حظى أننى لا أملك رأس المال الذى أستطيع به تنفيذ ذلك، فاستشرت بعض الأصدقاء المقربين فاقترحوا أن نقوم باستخراج مخزوننا الصغير وبيعه بسرية وهدوء.

وبهذا نستطيع كسب ما يمكننا من شراء الحقول المجاورة، وهذا هو ما نفعله الآن ومنذ بعض الوقت، وقد قمنا باستخدام مكبس هيدروليكى ليساعدنا فى مهمتنا، وهذا المكبس -كما شرحت لك- تعطل ونريد منك أن تنصحنا بشأنه.

وبالرغم من أننا نحافظ على سرنا بحرص فلو عرف الناس أن مهندسا هيدروليكيا جاء إلى منزلنا الصغير فسوف يبدؤون بالتساؤل على الفور، وعندها قد تظهر الحقيقة ونفقد الفرصة لشراء تلك الحقول وتفشل خططنا كلها.

لهذا جعلتك تعدنى بأنك لن تخبر مخلوقًا بقدومك إلى آيفورد الليلة، أرجو أن أكون قد أوضحت كل شىء.

قلت:

فهمتك تمامًا، لكن النقطة الوحيدة التى لم أفهمها هى دور المكبس الهيدروليكى فى استخراج التراب، فهو يستخرج بالحفر كما فهمت؟

فقال بلا مبالاة:

ــ آه، إن لنا طريقتنا الخاصة، فنحن نقوم بضغط التراب حتى يتحجر لننقله دون أن يعرف أحد ما هو.

ولكن هذا الأمر مجرد تفصيلات ثانوية على أية حال، لقد وثقت بك تمامًا يا سيد هاثرلى وأظهرت لك كم أثق بك.

ثم نهض وهو يتكلم قائلا:

ــ سأنتظرك إذن فى الساعة الحادية عشرة والربع.

سأكون هناك بالتأكيد.

وإياك أن تنطق بحرف عن هذا الأمر لأى مخلوق.

قال ذلك وحدق إلىَّ بنظرة أخيرة متشككة طويلة، ثم أمسك

بيدى وضغط عليها بقبضة باردة رطبة وأسرع خارجًا من الغرفة.

حسنًا، عندما أفكر فى الأمر الآن بهدوء أجد أننى كنت مدهوشًا جدًّا بهذه المهمة المفاجئة التى كلفت بها، فمن ناحية كنت سعيدًا بالطبع لأن الأجر يماثل عشرة أمثال ما كنت سأطلبه مقابل خدماتى.

كما أن من الممكن أن تتبع هذا الطلب طلبات أخرى، ومن ناحية أخرى ترك وجه عميلى وتصرفاته انطباعًا سيئًا فى نفسى ولم أقتنع بأن تفسيره الخاص بمسحوق القصر كان كافيا لتبرير ضرورة ذهابى فى منتصف الليل.

بالإضافة إلى قلقه الشديد خشية أن أخبر أحدًا بمهمتى، إلا أننى ألقيت بكل شكوكى وراء ظهرى، وأكلت وجبة ضخمة ثم ركبت حتى بادنغتون وبدأت رحلتى.

وقد أطعت الأمر بالكتمان حرفيا، وغيرت القطار فى ريدنغ، وتمكنت من اللحاق بالقطار الأخير المتجه إلى آيفورد فوصلت إلى المحطة الصغيرة المعتمة بعد الحادية عشرة.

كنت المسافر الوحيد الذى نزل هناك، ولم أجد على الرصيف

أحدًا سوى حمال نعسان يمسك مصباحًا.

فعبرت البوابة الصغيرة ووجدت الشخص الذى تعرفت إليه فى الصباح ينتظرنى فى الظل على الجانب الآخر، فجذب ذراعى دون أن ينبس بكلمة وحثنى على الإسراع بالدخول إلى العربة التى كان بابها مفتوحًا، ثم أغلق النوافذ على الجانبين ودق على الجزء الخشبى فابتعدنا بأسرع ما يستطيع الحصان، ثم...

قاطعه هولمز قائلا:

حصان واحد؟

نعم، واحد فقط.

هل لاحظت لونه؟

نعم، لقد رأيته فى ضوء المصابيح الجانبية وأنا أدخل إلى العربة.

هل بدا عليه التعب أم النشاط؟

بل بدا نشيطًا لامعًا.

شكرًا، أعتذر عن مقاطعتك، وأرجو أن تستمر فى قص حكايتك

الشقية.

ابتعدنا كثيرًا، فقد قطعنا الطريق فى ساعة على الأقل، وبالرغم من أن الكولونيل ستارك قال إن الطريق بطول سبعة أميال فقط فإننى أعتقد -اعتمادًا على المعدل الذى كنا نسير به وعلى الوقت الذى استغرقته الرحلة- أن المسافة تزيد على اثنى عشر ميلا.

جلس الرجل صامتًا طوال الوقت بجانبى، وأحسست أكثر من مرة حين نظرت إليه أنه يرمقنى بنظرات جانبية شديدة الحدة، ويبدو أن الطرق الريفية سيئة فى هذا الجزء من العالم حيث إننا أخذنا نتمايل ونتخبط.

فحاولت النظر من النوافذ لأرى أين كنا ولكنها كانت من الزجاج المصنفر ولم أستطع تمييز شىء سوى اللمعان الضبابى لبعض الأنوار العابرة بين حين وآخر وقد جازفت بإلقاء بعض الملاحظات لأكسر رتابة الرحلة ولكن الكولونيل كان يجيب بجمل مقتضبة فقط، ولذلك سرعان ما توقفت المحادثة.

وأخيرًا تبدل الطريق السيئ فصار ناعمًا مثل طريق معبد بالحصى،

ثم توقفت العربة وقفز الكولونيل ستارك خارجًا، وحين هممت بالنزول خلفه سحبنى بسرعة إلى مدخل مسقوف أمامنا فدخلنا مباشرة من العربة إلى القاعة.

وهكذا فقد فشلت فى أن أرى المدخل ولو بلمحة عابرة، كما أن الباب قد صفق بشدة خلفنا فى اللحظة التى اجتزت فيها العتبة، وسمعت صوت قرقعة العجلات بينما كانت العربة تبتعد.

ساد الظلام الدامس داخل المنزل وأخذ الكولونيل يتحسس بحثًا عن كبريت وهو يتمتم، وفجأة فتح باب فى نهاية الممر واندفع شعاع طويل من الضوء الذهبى باتجاهنا.

ثم اتسعت مساحة الضوء وظهرت امرأة تمسك بيدها مصباحًا وترفعه فوق رأسها وهى تحملق إلينا، استطعت رؤية جمالها، ومن اللمعة التى عكسها الضوء على ثوبها الأسود عرفت أنه من قماش غالى الثمن.

تكلمت بضع كلمات بلغة أجنبية وبنبرة توحى بأنها كانت تسأل سؤالا، وعندما أجاب الكولونيل بطريقة خشنة مقتضبة جفلت

حتى كاد المصباح يقع من يدها.

فاقترب منها وهمس فى أذنها بضع كلمات، ثم دفعها إلى داخل الغرفة التى خرجت منها ومشى ناحيتى ثانية والمصباح فى يده، وقال وهو يفتح بابًا آخر:

ــ أرجو أن تتكرم وتنتظر فى هذه الغرفة لبضع دقائق.

كانت غرفة هادئة صغيرة بسيطة الفرش، وفى وسطها طاولة مستديرة عليها كتب ألمانية مبعثرة.

وضع الكولونيل ستارك المصباح فوق آلة موسيقية كانت بجوار الباب وقال:

ــ لن أتركك طويلا، ثم توارى فى الظلام.

ألقيت نظرة على الكتب المبعثرة على الطاولة، وبالرغم من جهلى باللغة الألمانية إلا أننى استطعت معرفة أن اثنين منها كانا عن أبحاث فى العلوم، أما الكتب الأخرى فكانت فى الشعر، وبعد ذلك ذهبت إلى النافذة أملا فى رؤية بعض المناظر الريفية.

ولكنى وجدتها مسدودة بمصراعين من خشب البلوط مغلقين

بإحكام بمزلاج قوى.

كان المنزل هادئًا بشكل عجيب، ولولا دقات عالية تصدر عن ساعة قديمة فى مكان ما من الممر لعم السكون القاتل كل شىء، وبدأ شعور غامض بعدم الراحة يتسلل إلى نفسى، فمن هم هؤلاء الناس الألمانيون؟

ولماذا يعيشون فى هذا المكان الغريب البعيد؟

وأين هو هذا المكان؟

لقد كنت على مسافة عشرة أميال أو نحو ذلك من آيفورد، هذا كل ما أعرفه، ولكننى لا أعرف ما إذا كان ذلك باتجاه الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب!

وبما أن ريدنغ ومدنًا كبيرة أخرى قد تكون ضمن هذا المكال فالمكان قد لا يكون منعزلاً جدًّا، ولكنه يقع فى قلب الريف بالتأكيد بدليل السكون التام.

أخذت أذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا وأنا أدندن بنغمة خافتة حتى أحتفظ بمعنويات عالية وأشعر بأننى أستحق الجنيهات الخمسين،

وفجأة وبلا أى صوت تمهيدى وسط السكون المطلق فتح باب الغرفة ببطء ووقفت المرأة فى فتحة الباب والضوء الأصفر من المصباح ينعكس على وجهها القلق الجميل.

وأدركت بلمحة واحدة أنها كانت شديدة الخوف فسرت فى قلبى القشعريرة بسبب منظرها.

رفعت أصبعًا مرتعشًا لتحذرنى لكى أصمت ثم كلمتنى بضع كلمات سريعة بلغة إنجليزية ركيكة وعيناها تنظران إلى العتمة خلفها كحصان خائف، فقالت وهى تحاول أن تتكلم بأقصى ما تستطيع من الهدوء:

ــ لو كنت مكانك لغادرت، لا يجب أن تبقى هنا.. ليس من الخير لك أن تفعل.

فقلت:

ولكن أنا لم أقم بعد بالمهمة التى جئت من أجلها يا سيدتى، وليس من الممكن أن أغادر قبل أن أرى الآلة.

فاستمرت قائلة:

إن الأمر لا يستحق تعبك، يمكنك الخروج من الباب ولن يعيقك أحد.

وعندما رأتنى أهز أسى وأبتسم رمت بتحفظها جانبًا وخطت إلى الأمام وقالت:

ــ اخرج من هنا بالله عليك قبل فوات الأوان.

ولكنى عنيد بطبيعتى، وتزداد رغبتى فى القيام بمهمة ما عندما أجد عقبات فى طريقى، ففكرت فى الجنيهات الخمسين، أجرة عملى، وفى رحلتى المرهقة وفى الليلة البغيضة التى بدا لى أننى تجاوزتها، فهل أترك كل شىء يذهب بلا ثمن؟

ولماذا أنسل هاربًا دون أن أقوم بمهمتى؟

وما أدرانى؟

فقد تكون هذه المرأة مجنونة، لذلك وبالرغم من أن تأثير تصرفها فى نفسى كان أكبر مما أود الاعتراف به إلا أننى اتخذت موقفًا شجاعًا وهززت رأسى معلنا نيتى فى البقاء حيث أنا، وكانت على وشك

تجديد توسلاتها حين صفق باب فى الأعلى وسمع صوت خطوات على الدرج، فأرهفت السمع ورمت يديها إلى الأعلى بحركة يائسة، ثم اختفت فجأة بلا ضجة كما ظهرت.

كان القادمون الجدد هم الكولونيل ستارك ورجل قصير سمين ذو لحية كثة تكسو ثنايا ذقنه، وقد قدم لى على أنه السيد فيرغسون، قال الكولونيل:

إنه مساعدى ومدير أعمالى، وبالمناسبة، أظن أننى تركت هذا الباب مغلقًا، أخشى أن تكون قد شعرت بتيار هواء بارد.

فقلت:

على العكس، لقد فتحت الباب بنفسى لأننى أحسست أن هواء الغرفة مكتوم جدًّا.

فرمقنى بإحدى نظراته المتشككة وقال:

ــ لعل من الأفضل أن نبدأ بالعمل إذن، سآخذك أنا والسيد فيرغسون إلى الآلة فى الأعلى.

إذن فمن الأفضل أن أضع قبعتى على رأسى.

لا داعى لهذا، إنها داخل المنزل.

ماذا؟!

أتستخرج مسحوق القصر فى داخل المنزل؟

لا، لا، هذا هو المكان الذى نكبسه فيه فقط، ولكن دعنا من ذلك، كل ما نريدك أن تفعله هو أن تفحص الآلة وتخبرنا بالعيب فيها.

صعدنا إلى الدور العلوى معا يتقدمنا الكولونيل ومعه المصباح ووراءه المدير السمين، وأنا خلفهما.

كان المنزل القديم كالمتاهة بأروقة وممرات ودرج دائرى ضيق وأبواب منخفضة متآكلة العتبات بتأثير الأجيال التى عبرتها، لم يكن هناك سجاد ولا أثر لأى أثاث عدا الموجود فى الطابق السفلى.

بينما تقشر الطلاء عن الجدران وتسربت الرطوبة لتظهر فى شكل بقع خضراء غير صحية.

حاولت أن أبدى عدم اكتراثى قدر الإمكان، وإن كنت لم أنس تحذير السيدة بالرغم من تجاهلى له، ولذلك فقد أخذت حذرى من

رفيقى، وقد بدأ فيرغسون رجلا كئيبًا صامتًا.

ولكنى فهمت من القليل الذى قاله على الأقل إنه من الريف الإنجليزى.

توقف الكولونيل ستارك أخيرًا أمام باب منخفض قام بفتحه وتقدمنى لأدخل بعده إلى غرفة مربعة صغيرة لم تكن تتسع لثلاثتنا مرة واحدة، فظل فيرغسون فى الخارج، وقال ستارك:

نحن الآن داخل المكبس، وسيكون من غير اللطيف لو قام أحد بتشغيله، فسقف هذه الغرفة الصغيرة هو فى الحقيقة الجزء الهابط فى المكبس، وهو يهبط بقوة عدة أطنان على هذه الأرضية المعدنية.

وفى الخارج عدة أعمدة جانبية صغيرة من الماء هى التى تستقبل الضغط لتنقله وتضغطه بالطريقة التى تعرفها.

الآلة تبدأ العمل بسهولة، ولكننا نجد بعض التصلب فى عملها، كما أنها فقدت القليل من قوتها، هلا تكرمت بأن تفحصها وتدلنا على طريقة إصلاح العيب؟

أخذت منه المصباح وفحصت الآلة بدقة شديدة، كانت حقا

آلة بالغة الضخامة وقادرة على توليد ضغط هائل، ولكن عندما خرجت وضغطت الروافع التى تتحكم بها إلى الأسفل دلنى صوت الأزيز على الفور أن فيها تسربًا بسيطًا يسمح باندفاع الماء خلال إحدى الأسطوانات الجانبية.

وأظهر الفحص أن أحد الأربطة المطاطية التى كانت تحيط بقيمة عمود الدفع قد تقلص بحيث لم يعد يسد تماما التجويف الذى يوضع عليه، وكان من الواضح أن هذا هو سبب فقدان قوة الضغط.

وضحت الأمر لمرافقى اللذين استمعا إلى ملاحظاتى بحرص شديد وسألا عدة أسئلة عملية عن الطريقة التى يجب أن يتبعاها لإصلاح الآلة.

وعندما أوضحت لهما الأمر عدت إلى غرفة الآلة وألقيت عليها نظرة لأرضى فضولى، ولم أحتج إلا لنظرة واحدة لأدرك بوضوح أن موضوع مسحوق القصر كان مجرد اختلاق، فمن المنافى للعقل أن نفترض أن مثل هذا المحرك القوى قد صمم لذلك الغرض البسيط، كانت الجدران من الخشب.

أما الأرضية فكانت تتكون من وعاء حديدى واسع، وعندما فحصته استطعت أن ألاحظ أنه مغطى بقشرة من الرواسب المعدنية، فانحنيت وأخذت أكشطها محاولا معرفتها حين سمعت صيحة تعجب بالألمانية ورأيت وجه الكولونيل الشاحب ينظر إلىَّ من الأعلى، وسأل قائلا، ماذا تفعل هناك؟!.

شعرت بالغضب لأننى خدعت بتلك القصة المتقنة التى أخبرنى بها، فقلت:

ــ كنت أتأمل مسحوق القصر بإعجاب، وأظن أن بإمكانى أن أقدم لك نصيحة أفضل بشأن آلتك إذا ما عرفت الغرض الذى تستخدم فيه.

لكننى سرعان ما ندمت على تسرعى فى الحديث فى اللحظة التى نطقت فيها بهذه الكلمات، فقد قست ملامح وجهه وقدحت عيناه الرمادية شررًا وقال:

حسنًا، ستعرف عن هذه الآلة كل شىء.

ثم خطا خطوة إلى الخلف وصفق الباب الصغير وأدار المفتاح فى

القفل، أسرعت إلى الباب وأخذت أجذب المقبض إلا أنه كان مغلقًا بإحكام فلم يتزحزح ولو قليلا أمام ركلاتى وضرباتى، فصرخت قائلا:

ــ أيها الكولونيل، أخرجنى.

بعد ذلك سمعت فجأة صوتًا جعل قلبى يقفز من مكانه، كان صوت صلصلة الروافع وأزيز الأسطوانة المثقوبة، لقد قام بتشغيل المحرك! كان المصباح لا يزال على الأرض حيث تركته عندما انحنيت لفحص الوعاء، فرأيت فى ضوئه السقف الأسود وهو يهبط باتجاهى ببطء وبحركة متقطعة.

ولكن بقوة قادرة –كما أعرف أكثر من أى شخص آخر– على أن تسحقنى وتحولنى فى لحظة إلى عجينة لا شكل لها!.

رميت بنفسى على الباب وأنا أصرخ وأشد القفل بأظافرى، كما أخذت أتوسل إلى الكولونيل ليسمح لى بالخروج، ولكن صرخاتى تلاشت أمام صلصلة الروافع الحادة، وصار السقف على بعد قدم أو قدمين من رأسى، فكنت أستطيع حين أرفع يدى أن أشعر بصلابة

سطحه وخشونته.

ثم ومضت فى ذهنى فكرة أرحت لى بأن الألم الذى سأعانيه قبل موتى يعتمد إلى حد كبير على الوضع الذى سأكون فيه، فلو نمت على وجهى فسوف يهبط الثقل على عمودى الفقرى، فاقشعر بدنى حين فكرت بالصوت المريع الذى سينتج عن ذلك! قد يكون الوضع أسهل لو نمت على ظهرى.

ولكن هل أملك من الشجاعة ما يجعلنى أنام وأنظر إلى ذلك الظل الأسود القاتل وهو يتمايل إلى الأسفل باتجاهى؟

كان السقف قد دنا منى أكثر وأكثر ولم أعد قادرًا على الوقوف بجسم منتصب حين وقعت عيناى على شىء بعث الأمل فى قلبى.

قلت لكم إن السقف والأرضية كانا من الحديد إلا أن الجدران كانت من الخشب، وبينما كنت أنظر حولى بسرعة رأيت بنظرة أخيرة خيطًا دقيقًا من الضوء الأصفر يبدو بين لوحين من الخشب، ثم أخذت رقعة الضوء تتسع وتتسع حين دفع أحد الألواح الصغيرة إلى الخلف، وللحظة لم أصدق أن هناك حقًّا مخرجًا يقودنى بعيدًا

عن الموت.

وفى اللحظة التالية رميت بنفسى عبره ورقدت وأنا فى شبه غيبوبة فى الناحية الأخرى، كان اللوح قد أغلق ثانية بعد خروجى إلا أننى أدركت من صوت تحطم المصباح وبعده بلحظات صوت قرقعة اللوحين المعدنيين أننى قد أفلت فى اللحظة الأخيرة.

أعادتنى إلى رشدى شدة هائجة لمعصمى، ووجدت نفسى راقدًا على الأرض الصخرية للرواق الضيق فيما انحنت فوقى امرأة وراحت تشدنى بيدها اليسرى وهى تمسك شمعة بيدها اليمنى.

كانت نفس الصديقة الطيبة التى رفضت الاستماع إلى تحذيرها، وصاحت بأنفاس متقطعة:

تعال، تعال!

سيحضران إلى هنا بعد لحظة عندما يكتشفان أنك لست هناك.

آه، لا تضيع هذا الوقت الثمين، تعال!.

فى هذه المرة لم أستهن بنصيحتها، بل تمايلت واقفًا على قدمى وجريت معها عبر الرواق لنهبط بعد ذلك الدرج الدائرى الذى

قادنا إلى ممر عريض.

وما كدنا نصل إليه حتى سمعنا صوت أقدام تجرى وصوت شخصين يصرخان وأحدهما يرد على الآخر من الطابق الذى كنا فيه ومن الطابق الذى تحته.

فتوقفت مرشدتى وأخـذت تتلفت حولها كشخص أعيته الحيلة، ثم فتحت بابًا يقود إلى غرفة نوم بدا القمر يتلألأ من نافذتها بوضوح، وقالت:

إنها فرصتك الوحيدة.. إنها عالية، ولكن قد تستطيع القفز.

حينما كانت تتكلم ومض ضوء فى نهاية الممر، ورأيت هيئة الكولونيل ستارك النحيلة مسرعة إلى الأمام وهو يمسك بإحدى يديه مصباحًا وفى الأخرى سلاحا يشبه ساطور الجزار، فأسرعت عبر غرفة النوم ناحية النافذة بسرعة وأنظر إلى الخارج.

وكم بدت الحديقة هادئة ولطيفة فى ضوء القمر، وقدرت أن النافذة ترتفع عن الأرض نحو عشرة أمتار، فتسلقت بصعوبة حتى عتبة النافذة.

لكننى ترددت فى القفز حتى أسمع ما سيدور بين منقذتى والشرير الذى يلحق بى، فلو أساء إليها بأية طريقة كنت سأعود لمساعدتها مهما كان الثمن.

وما أدت هذه الفكرة تخطر على بالى حتى كان هو عند الباب يحاول أن يمر متجاوزًا إياها، ولكنها ألقت بذراعيها حوله محاولة منعه وصاحت بالإنجليزية قائلة:

ــ فريتز، فريتز! تذكر وعدك بعد المرة الأخيرة، لقد قلت إن هذا لن يتكرر ثانية، لن يتكلم، لن يتكلم!.

فصرخ قائلا وهو يحاول التملص منها:

إنك مجنونة يا إليس.. سيكون دمارنا على يديك، لقد رأى الكثير أقول لك دعينى أمر.

ثم دفعها جانبًا وأسرع إلى النافذة وسدد لى ضربة خاطفة بسلاحه الثقيل، وكنت قد قفزت وتعلقت بحافة النافذة بيدى عندما أصابتنى ضربته، فشعرت بألم غير محدد وارتخت قبضتى فسقطت على أرض الحديقة فى الأسفل.

هزتنى الصدمة ولكنها لم تؤذنى، فاستجمعت نفسى لأقف وأسرعت بين الأشجار وأنا أجرى بأقصى طاقتى لأننى عرفت أن الخطر ما زال قائمًا.

وفجأة انتابنى شعور بالدوار والإعياء وأنا أجرى، فنظرت إلى يدى التى كانت تنبض بالألم ورأيت للمرة الأولى أن إبهامى قد قطع وأن الجرح ينزف بغزارة، حاولت ربط منديلى حوله ولكنى شعرت بطنين فى أذنى، وسقطت بعد لحظة فى غيبوبة عميقة بين شجيرات الورد.

لم أعرف كم مضى عليَّ وأنا فاقد الوعى، ولكن لابد أنه كان وقتًا طويلاً جدًّا، فعندما استعدت وعيى كان القمر قد غاب وبدأ ضوء الصباح بالانتشار، كانت ملابسى مبللة تمامًا بقطرات الندى وأكمام معطفى مشبعة بالدم الذى انساب من جرح إبهامى المقطوع.

وقد ساعدنى الألم الحاد الذى كنت أشعر به على استرجاع تفصيلات مغامرتى الليلية فى لحظة، فقفزت واقفًا على قدمى وأنا أشعر بأننى لم أصبح بعد فى مأمن ممن يسعون ورائى، ولكن دهشت

حين بدأت أنظر حولى فلم أستطع رؤية المنزل ولا الحديقة، لقد كنت أرقد على زاوية سياج قريب من الطريق العام.

ورأيت فى الأسفل على انحدار بسيط مبنى طويلا علمت حين اقتربت منه أنه مبنى المحطة التى وصلت إليها مساء الليلة الماضية، ولولا الجرح البشع فى يدى لكان من الممكن أن يكون كل ما حدث فى تلك الساعات المروعة حلمًا بغيضًا.

ذهبت إلى المحطة وأنا أشعر بدوار، وسألت عن موعد قطار الصباح فعرفت أن واحدًا سيتجه إلى ريدنغ بعد أقل من ساعة، ووجدت أن الحمال الموجود بالخدمة هو نفسه الحمال الذى كان هناك عند وصولى.

فسألته عما إذا كان قد سمع بالكولونيل ليساندر ستارك، ولكن الاسم كان غريبا عليه، وحين سألته إن كان قد لاحظ العربة التى كانت تنتظرنى فى الليلة السابقة أجابنى بأنه لم يفعل، كما سألته أيضا إن كان يعرف مركزًا قريبًا للشرطة فأجاب بأن هناك واحدًا على بعد ثلاثة أميال.

كان بعيدًا جدًّا بالنسبة لى وأنا فى تلك الحالة من الضعف وسوء الحال، فقررت أن أنتظر حتى أعود إلى المدينة قبل أن أروى حكايتى للشرطة.

وحين وصلت كانت الساعة قد تجاوزت السادسة بقليل، وهكذا ذهبت أولا لأضمد جرحى، وعندها كان الدكتور واطسون من اللطف بحيث أحضرنى إلى هنا، وها أنا أضع هذه القضية بين يديك، وسأفعل كل ما تنصحنى به.

جلسنا جميعا فى صمت لبعض الوقت بعدما سمعنا تلك الحكاية الغريبة، ثم قام شيرلوك هولمز وسحب أحد الكتب الضخمة المألوفة التى يحتفظ فيها بقصاصات من الصحف، ثم قال:

ــ ها هو إعلان قد يهمك، وقد ظهر فى كل الصحف قبل عام تقريبًا، اسمع الآتى:

ــ (مفقود:

غادر السيد جيرمى هايلنغ منزله فى الساعة العاشرة من مساء التاسع من أيلول (سبتمبر)، وهو مهندس هيدروليكى يبلغ من

العمر ستة وعشرين عامًا، ولم تعرف عنه أية أخبار حتى الآن، وقد كان يرتدى..) إلى آخره، ها؟

أظن أن هذا يوضح ما حدث فى المرة السابقة التى أراد فيها الكولونيل فحص آلته.

فصاح مريضى قائلا:

يا إلهى، هذا يوضح ما قالته الفتاة!

بلا شك، من الواضح تمامًا أن الكولونيل كان رجلا باردًا متهورًا ومصممًا على أن لا يترك شيئًا يقف فى طريق لعبته الصغيرة، مثل القراصنة الذين لا يتركون أى ناجين من السفن التى يستولون عليها، حسنا كل دقيقة تمر الآن غالية، ولذلك سنذهب إلى إدارة اسكتلانديارد فى الحال فى خطوة تمهيدية للذهاب إلى آيفورد.. إذا كنت تشعر بأنك قادر على ذلك.

***

بعد ثلاث ساعات أو نحو ذلك كنا جميعا فى القطار المتجه من ريدنغ إلى قرية بيركشاير الصغيرة، وقد ضم جمعنا شيرلوك هولمز

والمهندس الهيدروليكى والمفتش براد ستريت من اسكتلاند يارد، بالإضافة إلىَّ وإلى شخص يرتدى ملابس بسيطة.

كان براد ستريت قد بسط إحدى خرائط المساحة التفصيلية للريف على مقعد أمامه، وكان مشغولاً برسم دائرة مستخدمًا البوصلة بحيث تكون آيفورد هى المركز، وقال:

ها هى الدائرة قد رسمت بحيث يكون نصف قطرها عشرة أميال ومركزها القرية، والمكان الذى نريده لابد أن يكون قريبًا من هذا الخط.

لقد استغرقت الرحلة ساعة بالعربة بسرعة جيدة.

وأنت تظن أنهم أعادوك كل هذا الطريق وأنت فاقد الوعى؟

لابد أن هذا ما فعلوه، فأنا أذكر بشكل مشوش أيضا أننى قد حملت ونقلت إلى مكان ما.

فقلت:

الأمر الذى لا أستطيع فهمه هو سبب إبقائهم عليك بعد أن وجدوك فاقدًا الوعى فى الحديقة!

ربما كان الشرير قد رق قلبه نتيجة لتوسلات المرأة.

لا أظن أن هذا محتمل، فلم أرى وجهًا أشد قسوة من وجهه قط.

قال براد ستريت:

سرعان ما سيتضح هذا كله، حسنًا، لقد رسمت الدائرة، والآن أتمنى أن أعرف فى أى نقطة يوجد هؤلاء الذين نبحث عنهم.

قال هولمز بهدوء:

أظن أن بإمكانى الإشارة إلى ذلك المكان.

فصاح المفتش قائلا:

حقًّا؟!

هل كونت رأيًا؟

ـ هيا إذن، لنر من سيتفق فى الرأى معك، أنا أقول إنه فى الجنوب لأن المنطقة أكثر عزلة هناك.

قال مريضى:

وأنا أقول فى الشرق.

قال الرجل ذو الملابس البسيطة:

أما أنا فأقول إنه فى الغرب حيث توجد عدة قرى هادئة.

أما أنا فقلت:

أظنه فى الشمال، فلا توجد تلال هناك، وقد قال صديقنا إنه لم يلاحظ صعود العربة على أى منها.

فصاح المفتش ضاحكًا:

هيا، إن لكل شخص رأيًا مختلفًا تمامًا عن الآخر، وهكذا فقد جمعنا اتجاهات البوصلة الأربعة فيما بيننا، فرأى من سترجح يا هولمز؟

أنتم جميعًا مخطئون.

ولكن لا يمكن أن نكون كلنا مخطئين!

بل ممكن.

ثم أشار بإصبعه إلى مركز الدائرة قائلا:

ــ هذا هو المكان الذى سنجدهم فيه.

فصاح هاثرلى قائلا:

ــ ولكن ماذا عن مسافة الاثنى عشر ميلا التى قطعتها العربة؟!

لقد ابتعدت العربة ستة أميال ثم عادت ثانية بمنتهى البساطة فقد قلت بنفسك إن الحصان كان نشيطًا وجلده لامعًا عندما دخلت إلى العربة، فكيف يكون هذا مظهره لو أنه قطع اثنى عشر ميلا على طرق وعرة؟

قال المفتش وهو مستغرق فى تفكير عميق:

فعلا، إنها خدعة محتملة، وبالطبع فإن نشاط هذه العصابة معروف تمامًا.

فقال هولمز:

بالطبع، إنها عصابة لتزوير العملة، وهم يستخدمون الآلة لصنع خليط المعدن الذى يستبدلون به الفضة.

قال المفتش:

ــ لقد عرفنا بأمر هذه العصابة منذ بعض الوقت وتتبعنا أثرها إلى ردنغ، ولكننا لم نستطع الوصول إلى أبعد من ذلك، فقد أخفوا

آثارهم بطريقة تدل على أنهم خبراء فى هذا المجال، ولكننا نلنا منهم الآن بفضل هذه الفرصة.

ولكن المفتش كان مخطئًا، فلم يكن مقدرًا لهؤلاء المجرمين أن يقعوا فى يد العدالة، فحين وصلنا إلى محطة القطار فى آيفورد رأينا عمودًا ضخمًا من الدخان يتصاعد من خلف مجموعة من الأشجار فى المنطقة المجاورة ويقف معلقًا فوق الأراضى الريفية كريشة طائر عملاقة، فسأل براد ستريت:

ــ أهناك منزل يحترق؟

فأجاب رئيس المحطة قائلا:

نعم يا سيدى.

متى اندلع الحريق؟

سمعت أنه بدأ خلال الليل يا سيدى، وقد انتشر حتى التهم المبنى كله.

ولمن هذا المنزل؟

للدكتور بيشر.

فصاح المهندس قائلا:

أخبرنى، هل الدكتور بيشر ألمانى نحيل جدًّا؟

فضحك رئيس المحطة بحرارة وقال:

لا يا سيدى، فالدكتور بيشر رجل إنجليزى، وليس فى القرية من هو أسمن منه، ولكن شخصًا يقيم عنده، وهو مريض أجنبى كما فهمت ويبدو من شكله أن بعض الطعام لن يضره.

أسرعنا كلنا باتجاه الحريق قبل أن ينهى رئيس المحطة حديثه، وحين اقتربنا رأينا مبنى كبيرًا جدًّا والنار تندلع من كل نافذة وشق من شقوقه، وكان فى الحديقة الأمامية ثلاثة عمال إطفاء يجاهدون عبثًا لإخماد الحريق.

صاح هاثرلى بانفعال شديد:

إنه هو، فهذا هو الطريق المعبد بالحصى، وها هى أجمة الورد حيث رقدت، وتلك النافذة الثانية هى التى قفزت منها!

فقال هولمز:

حسنًا، على الأقل هذا هو ثأرك، فلاشك أن مصباحك الذى

يعمل بالوقود والذى تحطم فى المكبس هو السبب فى اشتعال النيران فى الجدران الخشبية، ولاشك أنهم كانوا منفعلين خلال مطاردتهم لك فلم يلحظوا ذلك فى وقته.

والآن افتح عينيك وابحث عن أصدقاء الليلة السابقة وسط الحشد، وإن كنت أخشى أنهم أصبحوا الآن على بعد عدة مئات من الأميال.

***

تحققت مخاوف هولمز، فلم يسمع أحد منذ ذلك اليوم أى خبر عن السيدة الجميلة أو عن الألمانى الشرير أو الإنجليزى الكئيب.

وقد قابل أحد الفلاحين فى وقت مبكر من ذلك الصباح عربة فيها عدة أشخاص وبعض الصناديق الضخمة وهى تسير مسرعة باتجاه ريدنغ، وهناك اختفت آثار الهاربين تمامًا ولم تفلح حتى براعة هولمز فى اكتشاف أى دليل على مكانهم.

احتار رجال الإطفاء أمام التعديلات الغريبة التى وجدوها داخل المنزل، وزادت حيرتهم عندما اكتشفوا على عتبة نافذة الطابق

الثانى إبهامًا بشريًّا قطع حديثًا!

وإن كانت جهودهم قد تكللت بالنجاح أخيرًا عند غروب الشمس حين تمكنوا من إخماد النار، ولكن ليس قبل أن يسقط السقف ويدمر المكان كليا بحيث لم يبق من أثر الآلة التى كلفت مريضى المسكين الكثير إلا بعض الأسطوانات الملتوية والأنابيب الحديدية.

كما وجدوا كميات كبيرة من النيكل والقصدير مخزنة فى ملحق خارجى، وإن كانوا لم يجدوا أية عملات معدنية، وهو الأمر الذى يوضح مهمة الصناديق الضخمة التى تمت الإشارة إليها من قبل.

وكانت الطريقة التى نقل بها المهندس من الحديقة إلى البقعة التى استعاد فيها وعيه ستظل لغزًا إلى الأبد لولا التراب الناعم الرطب الذى أخبرنا بقصة فى غاية البساطة.

فقد حمله شخصان، أحدهما له قدمان صغيرتان بشكل ملحوظ والآخر يملك قدمين شديدتى الضخامة، وقد غلب على ظننا أن الإنجليزى الصامت (الذى كان أقل جرأة أو أقل ميلا إلى القتل من

رفيقه فيما يبدو) قد ساعد المرأة فى حمل الرجل الغائب عن الوعى بعيدًا عن الخطر.

قال المهندس بحزن حين جلسنا فى مقاعدنا لنعود إلى لندن:

ــ حسنًا، لقد كان عملاً رهيبًا بالنسبة لى، فقد فقدت إبهامى، بالإضافة إلى خسارتى الجنيهات الخمسين، فماذا استفدت؟

فقال هولمز ضاحكًا:

ــ الخبرة!

وقد تكون لها قيمة غير مباشرة، فما عليك إلا أن تقص الحكاية لتكسب سمعة تدوم طول حياتك بأنك ذو صحبة ممتازة.

مغامرات شيرلوك هولمز

المشكلة الأخيرة

تأليف

آرثر كونان دويل

ها أنا أتناول قلمي بقلب يعتصره الأسى لأدون هذه الكلمات الأخيرة عن الهبات المميزة التي انفرد بها صديقي السيد شيرلوك هولمز. لقد بدأت أروي تجاربي الغريبة معه اعتبارا من أول صدفة جمعتنا معا أيام «دراسة في اللون القرمزي» وصولا إلى مشاركتي في قضية «المعاهدة البحرية» التي حالت دون نشوب أزمة دولية حادة.

وأنا وحدي أدرى بحقيقة ما حصل. علما أن مجريات الأحداث لم ترد، على حد علمي، في الصحافة إلا في مجلة «جنيف» في ٦ أيار (مايو) ١٨٩١م وأنباء «رويتر» في الصحافة الإنجليزية في ٧ أيار، وأخيرا في رسائل نشرت مؤخرا. المصدران الأولان غنيان بالتفاصيل، أما الرسائل فتتضمن تشويها فاضحا للأحداث كما سأبين لاحقا.

وسأخبركم عما حصل منذ البدء بين البروفيسور موريرتي والسيد شيرلوك هولمز.

يجدر التذكير هنا أنه بعد زواجي وبدئي بمزاولة مهنة الطب

في عيادتي الخاصة، تغيرت نسبيا طبيعة علاقتي مع شيرلوك هولمز. صحيح أنه ظل يستعين بي بين الحين والآخر كلما احتاج إلى من يعاونه في تحقيقاته، لكن نادرا ما كان يفعل مؤخرا، حتى أنني لم أجد في سجلاتي عام ١٨٩٠م إلا ثلاث قضايا فقط. وفي أواخر الشتاء وبداية فصل الربيع من العام ١٨٩١م، قرأت في الصحف أن الحكومة الفرنسية استدعته لحل قضية ذات أهمية قصوى.

وكم فوجئت عندما رأيته ذات مرة يدخل إلى عيادتي عشية نهار ٢٤ نيسان (أبريل) وقد بدا شاحبا ونحيلا أكثر من المعتاد.

بادر إلى الإجابة عن نظراتي المتسائلة:

«إني أعمل بكد في الآونة الأخيرة. هل تمانع أن أقفل المصراعين؟»

سألت: «أتخشى شيئا ما؟»

«نعم، أصبت. من الحماقة أكثر منه من الشجاعة أن ترفض الاعتراف بوجود خطر محدق بك.

هل لي بعود كبريت؟»

أشعل سيجارته وراح يدخنها وكأن هذا المناخ يروق له أكثر.

«أعـذرني على مجيئي في ساعة متأخرة، وأسألك أن تأذن لي بمغادرة المنزل عبر حائط الحديقة الخلفي».

سألت مستوضحا:

«لكن ما معنى كل هذا؟»

مد هولمز عندها يده ورأيت على ضوء المصباح أن مفصلين من مفاصل أصابعه بارزان وينزفان.

«هلا رافقتني إلى القارة لأسبوع؟»

«إلى أين؟»

«إلى أي مكان. لا فرق عندي».

بدا لي الأمر غريبا جدا. فليس من عادة هولمز أن يطلب عطلة من دون هدف معين؛ كما أن شحوب وجهه يبين بوضوح مدى توتر أعصابه. لا شك أنه أدرك السؤال في عيني فشبك أصابعه وأسند كوعيه على ركبتيه شارحا لي الوضع.

«لم تسمع أبدا على الأرجح بالبروفيسور موريرتي؟»

«أبدا».

«إنه يهيمن على لندن ومع ذلك لم يسمع به أحد. وهذا ما يجعله يتصدر سجلات الجرائم. لو استطعت أن أهزم هذا الرجل يا واتسون، سأخلص المجتمع من براثنه وسأشعر أن طريقي المهنية قد بلغت ذروتها وأبدأ بالتفكير في حياة أكثر هدوءا.

لن يهدأ لي بال طالما أن ذلك الرجل، البروفيسور موريرتي، حر طليق في شوارع لندن».

«ماذا فعل؟»

«إنه ناجح جدا من الناحية المهنية. كما أنه من أسرة محترمة وقد تلقى تربية حسنة ويتمتع بموهبة مذهلة بالقدرات الرياضية. حتى أنه نجح في سن مبكرة في نيل منصب رئيس قسم الرياضيات في إحدى الجامعات الصغيرة وبدا مستقبله واعدا جدا. لكن فيه ميولا شعواء وحسا إجراميا يسري في عروقه ساهمت قواه العقلية المميزة في تنمية بدل لجمه.

فذاعت الشائعات حوله في الجامعة مما اضطره في النهاية إلى التخلي عن منصبه والاستقرار في لندن حيث عمل كمدرب للجيش. هذا ما يعرفه الناس عامة، لكن ما سأقوله لك، اكتشفته بنفسي.

أنت تعلم يا واتسون أن أحدا لا يعرف خفايا عالم الجرائم في لندن مثلما أعرفه أنا.

وقد استشعرت وجود قواه الشريرة في العديد من القضايا من شتى الأنواع كالتزوير والسرقات وجرائم القتل. وحاولت لسنوات طويلة أن أرفع النقاب عنه، وقادتني كل الخيوط إلى بروفيسور الرياضيات السابق الشهير موريرتي.

إنه نابوليون الجريمة يا عزيزي واتسون. وهو الرأس المدبر لنصف الأعمال الشريرة ولكل ما هو غير مكشوف في هذه المدينة الكبيرة. كما أنه عبقري وفيلسوف ومفكر كبير.

وهو يقبع كالعنكبوت وسط شبكته المكونة من ألف وألف تشعب يعرف أدنى ارتجاف لأي منها. وهو لا يفعل الكثير بنفسه بل

يستخدم عملاء له. قد يضبط العميل لكن ليس محرضه. هذا ما آلت دراساتي عن نظام عمله وقد وظفت كل طاقتي لعرضه وكسره.

وبدا من المستحيل العثور على أي إثباتات تدينه أمام المحكمة. وأعترف بعد ثلاثة أشهر من البحث أني وجدت أخيرا من يضاهي قدراتي العقلية. ولا شيء يوازي اشمئزازي من جرائمه إلا إعجابي بمهارته. أتيحت لي الفرصة في النهاية فبدأت أحيك شبكتي حوله إلى أن شارفت على إيقاعه فيها.

وفي غضون ثلاثة أيام، أي نهار الإثنين القادم، ستتضح الأمور ويصبح البروفيسور موريرتي وأبرز أعضاء عصابته في يد الشرطة. فتبدأ عندها أكبر محاكمة إجرامية في هذا القرن وسيتضح أكثر من أربعين لغزا.

لقد اتخذت هذا الصباح آخر ثلاث خطوات ولم يعد أمامي سوى ثلاثة أيام قبل أن ينتهي الموضوع. وبينما كنت جالسا في غرفتي أستعرض الوضع، فتح الباب ودخل البروفيسور موريرتي.

أعصابي حديدية يا واتسون لكني أعترف أني فوجئت كثيرا

لرؤية ذلك الرجل الذي يسكن بالي واقفا أمامي.

كان مظهره مألوفا، فارع الطول، نحيلا جدا، وعيناه غارقتان في وجهه، أخذ يتفرسني بهما بكثير من الفضول.

أدركت حالا مدى الخطر الذي يشكله عليَّ. فأخرجت المسدس بسرعة البرق من الجارور وغطيته بقطعة قماش في جيبي.

قال:

من الواضح أنك لا تعرفني».

أجبته:

على العكس، من الواضح جدا أني أعرفك. تفضل بالجلوس. بإمكاني تخصيص خمس دقائق لك إذا كان لديك ما تقوله».

«كل ما أريد أن أقوله مر في بالك».

«على الأرجح أن كل أجوبتي مرت في بالك إذاً».

تابع قائلا:

لقد اعترضت طريقي في الرابع من كانون الثاني (يناير). وفي

الثالث والعشرين منه، رحت تضايقني. في منتصف شهر شباط (فبراير)، أزعجتني كثيرا.

وفي نهاية شهر آذار (مارس)، أعقت خططي. والآن ونحن على مشارف شهر نيسان (أبريل)، أجدني في وضع قد أخسر معه حريتي. لم يعد الوضع يحتمل».

سألت:

هل من اقتراحات؟»

أجاب مشيحا بوجهه:

«تنحى عن المسألة، سيد هولمز. صدقني، هذا أفضل لك».

«ليس قبل الإثنين».

«أنا واثق من أن رجلا ذكيا مثلك يرى جليا أن هناك مخرجا واحدا فقط من هذه القضية، عليك أن تنسحب».

فأشرت إلى أن:

«الخطر من أسس مهنتي».

«المسألة ليست مسألة خطر وإنما تدمير محتوم. أنت لا تقف في وجه أي فرد عادي، بل في وجه منظمة قوية لم تنجح برغم ما تملك من ذكاء في التوصل إلى مثلها».

نهضت مجيبا:

«أخشى أن تكون روعة هذا اللقاء قد أنستنى أمرا مهما عليَّ القيام به».

نهض بدوره ونظر إليَّ صامتا وهو يهز رأسه بحزن.

كسر الصمت في النهاية ليقول:

«حسنا. هذا مؤسف، لقد قمت بواجبي. لو كنت ذكيا بما يكفي لتدمرني، كن على ثقة من أني لن أتوانى أبدا عن معاملتك بالمثل».

«لقد أغدقت عليَّ المديح. دعني أمدحك بدوري بأن أقول لك إني لو تأكدت من حتمية هذه الحالة، سأقبل معاملتك لي لما فيه مصلحة الناس».

هذه مقابلتي المميزة مع البروفيسور موريرتي. وأعترف أنها

أثرت فيَّ أبلغ تأثير. ستجيبني طبعا:

«ولم لا تستعين بالشرطة لردعه؟».

السبب هو أني مقتنع أن عملاءه أنفسهم سيسددون له الضربة القاضية. كل البراهين التي لدي تثبت ذلك».

«هل تم الاعتداء عليك؟»

«عزيزتي واتسون، البروفيسور موريتري حذر جدا. كنت قد خرجت عند الظهر لتصريف بعض الأعمال في شارع أكسفورد. وبينما أنا مار عند زاوية الطريق، اجتازتني عربة يجرها حصانان بسرعة جنونية كسرعة البرق؛ وبالكاد استطعت أن أنقذ حياتي.

تابعت طريقي وبينما أنا أمشي في شارع فير، ألقيت عليَّ قطعة قرميد من على سقف أحد المنازل وتحطمت عند قدمي. وفيما كنت في طريقي إليك، هاجمني شخص فظ يحمل هراوة، فضربته بدوري واستدعيت الشرطة فقبضت عليه.

فلا تتعجب يا واطسون إذا بادرت إلى إقفال المصراعين حالما دخلت إلى هنا وإذا طلبت منك أن تأذن لي بالخروج عبر حائط

الحديقة لا عبر الباب الرئيسي».

لطالما أعجبتني شجاعة صديقي لكن ليس كما اليوم عندما جلس بصمت يتحقق من مجموعة أحداث حولت نهاره إلى جحيم.

سألته: «لم لا تبيت ليلتك هنا؟»

«لا يا عزيزي. سأشكل ضيفا خطرا. لقد أعددت خطتي وسأتدبر أمري جيدا. يستحسن أن أتوارى قليلا عن الأنظار لبضعة أيام قبل أن تتصرف الشرطة. لذا يسرني لو ترافقني إلى القارة».

أجبته مسرورا: «ليس لدي عمل كثير ويسرني كثيرا أن أذهب معك».

«غدا صباحا؟»

«إذا لزم الأمر».

«نعم، إنه أمر ضروري. إليك بعض الإرشادات وأتمنى عليك أن تتبعها بحذافيرها. أصغ جيدا! عليك أن ترسل كل الأمتعة التي تحتاج إليها بواسطة رسول موثوق به إلى محطة فكتوريا هذه الليلة.

وفي الصباح، استدع عربة واصعد على متنها باتجاه ستراند في أركاد لوثير وأعط السائق العنوان مدونا على ورقة صغيرة واطلب منه ألا يرميها في الشارع وجهز الأجرة وحالما تتوقف العربة انطلق عبر الأركان بحيث تصل إلى الجهة المقابلة في التاسعة إلا ربعا.

ستجد هناك عربة ثانية عند حافة الطريق يقودها رجل يلبس معطفا أسود اللون ذا طوق أحمر. استقل العربة إلى أن تصل إلى محطة فكتوريا حيث تصعد على متن كونتنانتال إكسبريس».

«أين نلتقي؟»

«في المحطة. في مقصورة الدرجة الأولى الثانية من الأمام والتي سأحجزها لنا».

حاولت من دون جدوى استبقاء هولمز عندي الليلة. لكنه رفض على اعتبار أن وجوده سيجلب المتاعب ولذا عليه أن يغادر.

اتبعت إرشادات هولمز بحذافيرها في الصباح. وسار كل شيء على ما يرام، إذ كانت أمتعتي بانتظاري في محطة فكتوريا ولم أجد صعوبة في العثور على مقصورتنا بما أنها الوحيدة التي كتب عليها

«محجوزة».

شيء واحد أقلقني هو غياب هولمز. وكانت ساعة المحطة تشير إلى بقاء سبع دقائق قبل الانطلاق. بحثت عنه من دون جدوى. وبعدما بحثت مرة ثانية، عدت إلى حيث أمتعتي حيث تبين لي أن مستخدم القطار جعل من أحد المسافرين الإيطاليين رفيق الرحلة.

حاولت جاهدا أن أشرح له الوضع وأنا لا زلت أفتش قلقا عن صديقي. وسرت قشعريرة في جسمي عندما افتكرت أن مكروها لعله أصابه في تلك الليلة. كان الباب قد أقفل وأطلقت صفارات الإنذار عندما صرخ صوت:

«عزيزي واتسون، أهكذا تمر من دون أن تلقي عليَّ التحية؟»

التفت مذهولا وإذا بالرجل الإيطالي العجوز ينظر إليَّ وقد سقط عنه القناع وأدركت أنه صديقي هولمز.

«يا إلهي! لقد أخفتني!»

همس قائلا:

عليَّ توخي الحذر. لا شك أنهم يقتفون أثرنا. ها هو موريرتي نفسه».

كان القطار قد انطلق بينما هو يتكلم. نظرت إلى الخلف. فرأيت رجلا طويل القامة يشق الحشود على عجل ويلوح بيده طالبا إيقاف القطار. لكن الأوان قد فاته بما أن سرعتنا كانت تزيد تدريجيا وما هي إلا لحظات حتى غادرنا المحطة.

«هل قرأت صحيفة اليوم يا واتسون؟»

«لا».

«لم تعلم بما حصل في شارع بيكر إذاً؟»

«شارع بيكر؟»

«لقد أضرموا النار في غرفنا الليلة الماضية. واقتصرت الأضرار على الماديات».

«يا إلهي، هولمز! هذا أمر فظيع!»

«لا شك أنهم فقدوا أثري بعدما ألقي القبض على العميل الذي

أوقفته الشرطة. وإلا لما علموا أني عدت إلى غرفتي.

ولا شك أنهم راقبوا تحركاتك أيضا، ما يفسر قدوم موريرتي إلى المحطة، بقي أن نفكر في خطة للتخلص منه الآن».

«هذا قطار سريع وسنصل مباشرة إلى السفينة مما يعني أن الخطر قد زال».

«عزيزي واتسون، من الواضح أنك لم تفهم تماما ما عنيته عندما قلت لك إنه لا يقل عبقرية عني».

«ماذا تراه سيفعل؟»

«ما كنت لأفعله أنا».

«وماذا كنت لتفعل؟»

«أستخدم عميلا خاصا».

«لقد فات الأوان».

«إطلاقا. فهذا القطار يتوقف في كنتربوري وثمة تأخر ثلاثة أرباع الساعة دائما قبل انطلاق السفينة. سيلحق بنا هناك».

«وكأننا المجرمان. لم لا تطلب إيقافه حالما يصل؟»

«لأن ذلك يقضي على ثلاثة أشهر من العمل المضني. سنحصل على السمكة الكبيرة وتفلت الصغيرة. وسنحصل عليهم جميعا نهار الإثنين. التوقيف مرفوض كليا».

«ماذا إذا؟»

«سننزل في كنتربوري».

«ومن ثَمَّ؟»

«من ثَمَّ سنتوجه عبر الريف إلى نيوهافن فإلى دياب. سيفعل موريرتي مجددا ما كنت لأفعله أنا.

سيذهب إلى باريس وينتظر أمتعتنا ليومين في المستودع. في هذه الأثناء، نتابع رحلتنا إلى سويسرا عبر لكسمبورغ وبازل».

لن أدع فقدان أمتعتي من السفر لكني أعترف أن فكرة إجباري على المراوغة والاختباء من رجل ذي سجل حافل بشتى الجرائم، لم ترق لي كثيرا. لكن من الواضح أن هولمز أدرى مني بحقيقة الوضع.

وهكذا نزلنا في كنتربوري وتبين لنا هناك أن علينا الانتظار ساعة إضافية قبل انطلاق القطار إلى نيوهافن.

شد هولمز على كمي مشيرا باتجاه معين.

«أترى، ها هو».

بالفعل، كان في البعيد عبر غابة كنتش دخانا خفيفا يتصاعد. وما هي إلا دقيقة حتى رأينا القطار يتوجه على طول المنعطف الذي يفضي إلى المحطة.

«لذكاء صديقنا حدود كما ترى. لو تنبه إلى ما سنفعله وعمل وفقا له، لكانت هذه ضربة معلم».

تابعنا إلى بروكسل حيث مكثنا ليلتين وانطلقنا في اليوم الثالث إلى ستراسبورغ. وصباح يوم الإثنين، كان هولمز قد أبرق إلى الشرطة في لندن ووجدنا مساء الجواب بانتظارنا في الفندق. فض هولمز البرقية لكنه قال متذمرا:

«كان عليَّ أن أعرف!»

«موريرتي!»

«قبضوا على كامل العصابة إلا هو. اعتقدت أن المسألة أصبحت بين أيديهم. أعتقد أنه من الأفضل أن تعود إلى لندن يا واتسون».

«لماذا؟»

«لأني أصبحت رفيقا خطرا الآن. إذا لم أكن على خطأ، أظن أنه سيجند طاقاته الآن للانتقام مني.

لقد قال ما يكفي خلال لقائنا القصير وأخشى أنه عَنِيَ ما قاله. أنصحك بالعودة إلى عيادتك».

جلسنا في غرفة الطعام في ستراسبورغ نناقش المسألة لنصف ساعة ثم استأنفنا الرحلة في الليلة نفسها باتجاه جينيف.

كانت رحلة ممتعة لا تتخللها سوى متسعات من الخضار الربيعي وقمم مكللة بالبياض الشتوي؛ لكن طيف موريرتي لم يغب عن هولمز ولو للحظة.

ومع ذلك، لم يشعر أبدا بالإحباط، بل على العكس، كان

متحمسا جدا أكثر من أي وقت مضى. وظل يكرر أنه لو نجح في تحرير المجتمع من البروفيسور موريرتي، لوضع مسرورا حدا لطريقه المهنية.

«لا أبالغ يا واتسون إن قلت إن حياتي لم تذهب سدى. إن هواء لندن هو الأعذب بالنسبة إليَّ. ومن بين أكثر من ألف قضية عملت عليها، لا أعتقد أني أسأت يوما استعمال قواي في الجانب الخطأ.

وفضلت مؤخرا النظر في مشاكل من الطبيعة لا مشاكل من فعل المجتمع. ستنتهي مذكراتك يا واتسون يوم أكلل مسيرتي المهنية بإلقاء القبض أو بالقضاء على أخطر المجرمين في أوروبا وأكثرهم دهاء».

وصلنا في الثالث من آيار (مايو) إلى بلدة ميرنغين الصغيرة. وكان صاحب الفندق رجلا ذكيا نصحنا بأن ننطلق بعد ظهر ٤ أيار باتجاه التلال وبقضاء الليلة في روزنلاو.

لكن لم يكن بإمكاننا المضي قدما من دون أن نحول مسارنا قليلا لنشاهد شلالات ريشنباخ.

كان المكان مخيفا. والسيل، الذي ملأه الثلج الذائب، يصب في لج عميق يرتفع منه رذاذ المياه المتدفقة كالدخان المتصاعد من منزل يحترق. كان الممر قد قطع عند منتصف الهاوية للحصول على مشهد شامل لكنه ينتهي بشكل مفاجئ بحيث يجبر المسافر على العودة من حيث أتى، كنا قد استدرنا لنعود أدراجنا عندما رأينا فتى سويسرا يركض باتجاهنا حاملا رسالة في يده، عليها ختم الفندق الذي كنا قد غادرناه لتونا وموجهة لي.

يبدو أنه بعد دقائق معدودة على رحيلنا، وصلت سيدة إنجليزية في آخر مراحل مرضها، كانت قد أمضت الشتاء في دافوس بلانز وبينما هي في طريقها للانضمام إلى صديق لها في لوسرن، أصيبت بنزف مفاجئ ويعتقد أنها لن تعيش أكثر من بضع ساعات. لكن معاينتها من قبل طبيب إنجليزي سيعزيها كثيرا، فلو استطعت العودة إليها...

لم يكن بالإمكان تجاهل هذا النداء ولا رفض طلب إحدى الرعايا الإنجليزية التي تحتضر في بلاد غريبة. ومع ذلك، ترددت في

ترك هولمز. إلا أنه قرر أن يبقى هناك بعض الوقت ثم يبدأ باعتلاء الهضبة على مهل وصولا إلى روزنلاو حيث نلتقي في المساء.

رأيته وأنا أغادر وقد استند إلى صخرة وفتح ذراعيه وراح ينظر إلى الأسفل حيث تتدفق المياه. كانت هذه آخر مرة أراه فيها في هذا العالم.

وصلت إلى ميرنغين بعد ساعة تقريبا وكان ستيلر (صاحب الفندق) واقفا عند المدخل.

سألته مستعجلا: «آمل ألا تكون حالتها قد ساءت أكثر؟»

نظر إلى متعجبا، وحالما عقد حاجبيه شعرت بقلبي يتوقف عن الخفقان.

أخرجت الرسالة من جيبي مستوضحا: «ألم تكتب هذه الرسالة؟ أليست هناك سيدة إنجليزية مريضة هنا؟»

«طبعا لا. لكنها تحمل ختم الفندق!

لا شك أن ذلك الرجل الإنجليزي الطويل القامة الذي أتي

يسأل عنكما هو من كتبها. قال..».

لم أنتظر حتى يكمل جملته، بل هرعت مذعورا إلى شوارع البلدة وصولا إلى الممر الذي اجتزته منذ قليل في غضون ساعة. لكني لم أبلغ المكان مجددا إلا بعد ساعتين من الجهد.

كما أنني لم أجد لهولمز أثرا برغم صراخي ونداءاتي. ولم يجبني إلا الصدى تردده المنحدرات الصخرية المحيطة بي.

أكثر ما أخافني هو رؤية العصا الألبية، مما يعني أنه لم يذهب إلى روزنلاو. الفتى السويسري اختفى أيضا لعله عميل من عملاء موريرتي وقد ترك الرجلين معا على انفراد. ماذا حصل بعدها؟

من سيقول لنا ماذا حصل؟

وقفت لدقيقة أو دقيقتين أسترجع أنفاسي لشدة تأثري بما حصل. ثم بدأت أفكر بحسب أساليب هولمز محاولا تطبيقها لتفسير هذه المأساة.

ليس هذا بالأمر الصعب.

فخلال حديثنا، لم نبلغ آخر الممر. وقد بدا واضحا على الأرض خطان من آثار الأقدام التي تقود بعيدا عني من دون رجعة. وعلى بعد بضع ياردات من نهاية الطريق، رقعة وحل.

صرخت عاليا لكن لم يأت جواب سوى صرختي هذه.

لكن القدر شاء أن تردني كلمة أخيرة من صديقي وزميلي. فقد وجدت في علبة السجائر الفضية التي اعتاد أن يحملها، قطعة ورق مربعة صغيرة وجدتها على الأرض، فتحتها وإذا فيها ثلاث صفحات مأخوذة من دفتره وموجهة لي.

كانت تميز هولمز بحيث إنه يبدو من دقتها ووضوحها وتماسكها وكأنه كتبها في مكتبه.

«عزيزي واتسون،

أكتب لك هذه الأسطر بإذن من السيد موريرتي الذي ينتظر موافقتي لمناقشة الأمور العالقة بيننا. كان يعطيني لمحة عن الطرق التي مكنته من الإفلات من الشرطة الإنجليزية وأبقته على اطلاع على أدنى تحركاتنا. وقد أكد لي هذا ظنوني حول قدراته العالية.

ويسرني أني سأنجح في تحرير المجتمع من أية انعكاسات سلبية لوجوده مع أني أخشى أن تكون الكلفة مؤلمة لأصدقائي لا سيما لك أنت عزيزي واتسون.

سبق أن شرحت لك أن طريقي المهنية قد بلغت مرحلة حساسة وأنه ما من حل مناسب لي أكثر من هذا الحل. أعترف لك أني كنت واثقا من أن الرسالة من ميرنغين مجرد ألعوبة وتركتك تذهب تحسبا لحصول ما حصل.

قل للمفتش باترسون أن الأوراق التي يحتاج إليها لاتهام العصابة موجودة في عين المنضدة م.، في مغلف أزرق كتب عليه «موريرتي». لقد اتخذت كل التدابير اللازمة الخاصة بملكيتي قبل مغادرتي لندن وسلمتها لشقيقي مايكروفت.

أنقل تحياتي للسيدة واتسون وتفضل يا صديقي العزيز بقبول فائق الاحترام.

«شيرلوك هولمز»

لم تنجح كل محاولات انتشال الجثتين؛ وهكذا بقي أخطر

المجرمين وأبرز أبطال العدالة في عصرهما يرقدان في أعماق لجج المياه والرذاذ المتدفق. أما أعضاء الزمرة، فسيذكر الناس دائما الإثباتات التي جمعها هولمز ضد منظمتهم وكيف بقي سيف الرجل الميت مسلطا فوق رؤوسهم. ولم ترشح عن المحاكمة معلومات كثيرة عن زعيمهم. وإنما اضطررت الآن لإيضاح هذه الأمور، إكراما لذكرى أحسن وأحكم رجل عرفته في حياتي.

مغامرات شيرلوك هولمز

مغامـرة
طقس موسغريف

تأليف

آرثر كونان دويل

من أكثر السيئات التي لطالما فاجأتني في شخصية صديقي شيرلوك هولمز أنه، رغم نمط فكره المنتظم جداً، كان نقيض ذلك تماماً في عاداته الشخصية لدرجة أن أي شخص يقطن معه يجن جنونه.

كانت غرفتنا دائماً مكتظة بالمواد الكيميائية والتذكارات من الجرائم. لكن أوراقه كانت أكثر ما يزعجني. كان يكره إتلاف الوثائق لا سيما تلك المتعلقة بقضاياه السابقة.

ولم يكن يستجمع قواه إلا مرة كل سنتين ليصنفها ويرتبها. فتتراكم الأوراق شهراً بعد شهر إلى أن تملأ كافة أرجاء الغرفة من دون أن يحق لأحدهم إحراقها أو التخلص منها إلا بإذن من صاحبها.

جلسنا ذات ليلة من ليالي الشتاء قرب الموقد وخاطرت بأن اقترحت عليه، بما أنه فرغ من وضع المقتطفات اللازمة في دفتره المعتاد، أن يمضي الساعتين التاليتين في جعل الغرفة أكثر قابلية

للعيش.

لم يعترض إطلاقاً على صحة طلبي فتوجه رغماً عنه إلى غرفة نومه التي عاد منها حاملاً علبة حديدية كبيرة وضعها خلفه.

قال وهو ينظر إلى بعينين حذقتين:

(هناك ما يكفي من القضايا في هذه العلبة يا واتسون).

سألته:

(إنها سجلات أعمالك السابقة إذاً لطالما تمنيت أن أحتفظ بلمحة عنها).

(نعم، عزيزي. كلها قديمة، لكنها ليست كلها ناجحة، والبعض منها لا يخلو من المشاكل. هذا سجل جرائم ترلتون وقضية فمبيري وبائع النبيذ ومغامرة المرأة الروسية العجوز وقضية عكاز الألومنيوم الفريدة وريكوليتي من نادي كرة القدم وزوجته الفظيعة وهذه... هذه قضية منمقة جداً).

أرخى يده إلى الأسفل وتناول علبة خشبية صغيرة. ثم أخرج

منها ورقة مطوية ومفتاحاً معدنياً من الطراز القديم وعوداً خشبياً علقت به كرة مصنوعة من الأسلاك وثلاث إسطوانات معدنية قديمة صدئة.

سألني وقد أضحكته ردة فعلي:

(ما رأيك بهذه المجموعة؟)

(إنها تثير فضولي).

(بالفعل وقصتها ستثير فضولك أكثر).

(لا شك أن لهذه التذكارات تاريخ).

(لا بل إنها التاريخ).

(ماذا تقصد).

تناول هولمز الشيء تلو الآخر ووضعه على حافة الطاولة. ثم استوى في كرسيه وراح ينظر إلى الأشياء والامتنان باد على وجهه.

(هذا كل ما بقي لي ليذكرني بطقس موسغريف).

سبق أن ذكر أمامي هذه القضية عدة مرات لكني لم أفهم أبداً ما

هي تحديداً بالتفصيل.

قلت:

(يسرني أن تطلعني على هذه القضية).

فأجاب بحذق:

(وأترك الفوضى على حالها؟

حسناً، يسرني أيضاً أن تضيف هذه القضية إلى سجلاتك لأن ثمة ما يجعلها من الجرائم المميزة في هذا البلد أو حتى في سواه).

(عندما وصلت إلى لندن، كنت أسكن في شارع مونتاغ على مقربة من المتحف البريطاني. وكنت أنتظر هناك أمضى ساعات فراغي بدراسة شتى العلوم التي من شأنها تحسين أدائي.

وكنت أعمل على بعض القضايا من وقت إلى آخر، لا سيما على تلك التي كانت تبلغني عن طريق زملائي الطلاب بما أني حدثتهم كثيراً عن نفسي وعن طريق عملي في سنوات الدراسة الأخيرة.

طقس موسغريف كان ثالث تلك القضايا؛ وأكثر ما أثار اهتمامي

فيها تسلسل الأحداث المميزة والقضايا المهمة التي كانت على المحك وكانت في الواقع أول خطوة لي على الطريق التي أسلكها اليوم).

(كان ريجنالد موسغريف زميلي في الكلية لكن معرفتي به ظلت سطحية. الواقع أنه لم يكن شعبياً جداً في أوساط الطلاب مع أنه لطالما خيل إلى أن تكبره إنما هو محاولة لستر شدة حيائه.

كان سليل إحدى أكبر العائلات في المملكة رغم انتمائه إلى فرع أصغر انفصل عن آل موسغريف في القسم الشمالي في القرن السادس عشر، واستقرت في سوسكس الغربية).

(فقدت أثره لمدة أربع سنوات إلى أن زارني ذات صباح في غرفتي في شارع مونتاغ.

لم يتغير كثيراً وكان متأنقاً يتتبع آخر صيحات الموضة ولازال هادئ الطباع، مهذباً كما عرفته دائماً).

سألته بعدما تصافحنا بحرارة:

(كيف الحال يا موسغريف؟).

(لا شك أنك علمت بموت والدي المسكين. لقد توليت أنا إدارة شؤون هورلستون منذ الحين.

علمت يا هولمز أنك تحسن استغلال تلك القوى التي لطالما أتحفتنا بها).

(نعم، قررت أخيراً الاستفادة منها).

(يسرني سماع هذا لأن نصحك يفيدني كثيراً الآن. ثمة أمور غريبة تحصل في هورلستون ولم تنجح الشرطة في إلقاء أي ضوء عليها.

إنها أحداث غريبة ومذهلة إلى أبعد الحدود).

(تصور يا واتسون بكم من الاهتمام أصغيت إليه).

تابعت قائلاً:

(أطلعني على التفاصيل من فضلك).

قال:

(لدى كما تعرف عدد لا بأس به من الخدم في هورلستون، ثمانية تحديداً، مع أني لازلت أعزب.

كبيرا الخدم، برنتون، هو أقدمهم في خدمتنا. إنه رجل مفعم بالنشاط وقوي الشخصية وسرعان ما أصبح لا غني عنه في المنزل.

كان حسن التربية ووسيماً. ومع أنه في خدمتنا منذ عشرين عاماً، لا يتعدى الأربعين من العمر الآن.

من الرائع أنه اكتفى بهذا المنصب المتواضع نسبياً مقارنة مع مزاياه الداخلية والخارجية، لا سيما إتقانه عدة لغات والعزف على شتى الآلات الموسيقية.

لعل السبب ارتياحه معنا وافتقاره إلى الحماسة اللازمة لإحداث تغيير في حياته.

وكل من يزورنا في هورلستون يعلق في ذهنه كبير الخدم هذا.

(كان يعاني مع ذلك من سيئة واحدة. إنه زير نساء بعض الشيء.

لم يكن في الأمر سوء عندما كان متزوجاً، لكن منذ وفاة زوجته، لم تفارقنا المشاكل معه.

قبل بضعة أشهر، تأملنا في رؤيته يستقر مجدداً مع راشيل هويلز،

خادمتنا الثانية؛ لكنه تخلى عنها وتقرب من جانيت تريجليس، ابنة حارس الطرائد الأعلى. راشيل، وهي فتاة طيبة، كانت قد أصيبت بحمى دماغية حادة. هذه هي مأساتنا الأولى لكن الثانية ستفقدك صوابك حتماً.

إليك التفاصيل. كما قلت، برونتون رجل ذكي جداً وذكاؤه بالذات كان السبب في هلاكه لشدة فضوله المفرط في كل ما يدور حوله.

منزلنا مترهل، لذا، ذات ليلة، نهار الخميس تحديداً، لم أستطع النوم بعدما تناولت فنجان قهوة مرة بعد العشاء.

صارعت الأرق حتى الثانية فجراً إلى أن قررت أخيراً النهوض. فأضأت شمعة كي أكمل الرواية التي أطالعها. لكني نسيت الكتاب في صالة البليار.

فتناولت عباءتي وخرجت من الغرفة.

تصور دهشتي عندما نظرت إلى أسفل الممر ورأيت وهج نور متسلل عبر باب المكتبة.

تبادر حالاً إلى ذهني أنهم لصوص. تقدمت على رأس أصابعي في الرواق واسترقيت النظر عبر الباب.

كان كبير الخدم برنتون جالساً على الكرسي في المكتبة بكامل ثيابه وقد وضع في حضنه ورقة أشبه بخريطة.

مكثت هناك مذهولاً أراقبه عبر الظلمة. ولعل أكثر ما أثار حفيظتي، تفحصه وثائق العائلة بكل برودة أعصاب.

وما أن خطوت بضع خطوات نحوه، حتى رآني برنتون ورفع عينيه صوبي.

قلت:

(أهكذا تجازي من وضع كل ثقته فيك!)

(انحنى كمن قضي عليه ومر بجانبي من دون أن ينبس ببنت شفة. نظرت إلى الورقة التي تناولها برنتون من المكتب لأرى ما هي.

دهشت عندما تبين لي أنها لم تكن مهمة إطلاقاً بل مجرد نسخة عن الأسئلة والأجوبة ضمن طقس موسغريف القديم.

وهو طقس خاص بعائلتنا يخضع له كل فرد من أفرادها منذ قرون طويلة حتى يومنا هذا).

أقفلت المكتب بواسطة المفتاح الذي تركه برنتون واستعديت للمغادرة حين فوجئت مجدداً بوجوده واقفاً أمامي.

قال بصوت اعتصره التأثر:

(سيد موسغريف، لا أستطيع تحمل الخزي والعار. إذا تعذر عليك كتم ما حصل، دعني أقدم استقالتي وأغادر في غضون شهر كما ولو كان ذلك بملء إرادتي.

يمكنني تحمل هذا يا سيد موسغريف لكن ليس أن أطرد أمام زملائي الذين أعرفهم جيداً).

(أنا لا أنوي إذلالك أمام الآخرين، لكن شهر مدة طويلة. أعطيك أسبوعاً واحداً لتغادر بالعذر الذي تريده).

صرخ بنبرة يائسة:

أسبوع واحد سيدي؟

امنحني أسبوعين على الأقل)

كررت مصراً:

(أسبوع واحد لا غير، وقد حالفك الحظ بأن حظيت بهذه المعاملة الجيدة).

تابع برنتون عمله على أكمل وجه ليومين بعد الحادثة. ولم أتطرق أبداً إلى ذكر ما حصل بل انتظرت مترقباً لأرى كيف سيكتم عاره. لكن في اليوم الثالث، لم يظهر أبداً كالمعتاد عند الفطور لتلقي أوامر النهار.

والتقيت أثناء مغادرتي غرفة الطعام الخادمة راشيل هويلز. كانت قد تعافت لتوها من مرضها كما ذكرت سابقاً وبدت شاحبة للغاية لدرجة أني وبختها لأنها تعمل.

(يجدر بك أن تلازمي سريرك. عودي إلى عملك حالما تستعيدين عافيتك).

نظرت إلى بغربة لدرجة أني ظننت أنها مصابة بعلة في عقلها.

قالت:

(لا أشكو من شيء سيد موسغريف).

(سنرى ما سيقوله الطبيب. يجب أن توقفي العمل الآن وعندما تنزلين إلى الأسفل، قولي لبرنتون أن يوافيني).

(لقد غادر كبير الخدم).

(غادر! إلى أين؟).

(غادر فحسب من دون أن يراه أحد. فهو ليس في غرفته. نعم لقد غادر. غادر!) وأسندت ظهرها إلى الحائط ونوبة ضحك تلو الأخرى.

ذهلت مما رأيته من نوبات هستيرية مفاجئة، فهرعت إلى الجرس أطلب النجدة.

نقلت الفتاة إلى غرفتها وهي لا تزال تصرخ وتنتحب، بينما حاولت أنا أن أستعلم عن برنتون.

كل شيء يدل على اختفائه. فهو لم ينم في فراشه ولم يره أحد منذ

أن خلد إلى النوم الليلة الفائتة.

وبدا من الصعب مع ذلك معرفة كيف غادر المنزل بما أن النافذتين والأبواب كانت موصدة جميعها في الصباح.

كما عثرنا على ثيابه وساعته وحتى ماله في غرفته باستثناء سترته السوداء التي يرتديها عادة. حتى خفيه اختفيا بينما بقي حذاؤه مكانه. إلى أين تراه ذهب ليلاً وماذا حل به الآن؟)

استدعيت فوراً الشرطة المحلية لكن دون جدوى. كان المطر قد هطل الليلة الفائتة فتحققنا من الممرات حول المنزل لكن دون جدوي أيضاً.

بعد يومين على اختفائه، مرضت راشيل هويلز مجددا وأخذت تهذي وتعاني من نوبات هستيرية، ما اضطرنا إلى استخدام ممرضة تلازمها طول الليل. وفي الليلة الثالثة، استيقظت الممرضة في الصباح الباكر فوجدت سرير راشيل فارغا والنوافذ مفتوحة ولا أثر للمريضة.

لم يكن من الصعب معرفة الوجهة التي اتخذتها. إذا تمكنا من

تفقي أثرها بالنظر إلى علامات الأقدام الواضحة تحت النافذة. تبعناها وصولا إلى تخوم البركة حيث اختفت قرب ممر الحصى الذي يقود إلى خارج الأراضي.

حاولنا استعادة رفاتها لكن من دون نتيجة. من جهة أخرى، سحبنا إلى سطح الماء غرض غريب جداً هو عبارة عن كيس من الكتان فيه كومة من المعادن القديمة الصدئة الفاسدة وعدة قطع تغير لونها من الحصى أو الزجاج.

فأتيت إليك الآن طالباً المساعدة).

(تصور يا واتسون كم كنت متحمسا للاستماع إلى مجريات الأحداث وكم حاولت جاهدا تجميع أوصالها للعثور على الخيط الرئيس الذي يفسر ما حصل).

قلت: (يجب أن أرى الورقة يا موسغريف. لا شك أنها تستحق المخاطرة بمركز كمركز كبير الخدم).

(أحمل معي نسخة عن الأسئلة والأجوبة إذا أردت إلقاء نظرة عليها).

ناولني هذه الورقة التي معي هنا واعترف أنه طقس غريب كان يخضع له كل فرد من أفراد عائلة موسغريف عندما يبلغ سن الرشد. سأتلو عليك الأسئلة والأجوبة كما وردت).

(لمن كان؟).

(لمن سبق).

(من سيحوز عليه؟).

(من يأتي بعده).

(أي شهر كان؟).

(السادس بعد الأول).

(أين كانت الشمس).

(فوق السنديانة).

(أين كان الظل؟).

(تحت شجرة الدردار).

(ما كان موقعه؟).

(شمالاً في العاشرة وفي العاشرة، شرقاً في الخامسة وفي الخامسة، جنوباً في الثانية وفي الثانية، وغرباً في الواحدة وفي الواحدة، وهكذا دواليك).

قال موسغريف:

(النسخة الأصلية غير مؤرخة لكنها ترقى إلى القرن السابع عشر. لكني أخشى ألا تفيدك في حل هذا اللغز).

(لعل حل أحد اللغزين يحل أيضاً اللغز الثاني. أعذرني موسغريف على ما سأقوله، لكن كبير خدمك يبدو لي ذكياً جداً أكثر من عشرة أجيال من أسياده).

أجاب موسيغريف:

(لست أفهمك جيداً. تبدو لي هذه ورقة تافهة).

(لكنها مفيدة جداً على ما أرى، وأعتقد أن برنتون كان يشاطرني الرأي. لربما أدرك هذا ليلة ضبطه في المكتب.

أعتقد أنه كان يتحقق من المعلومات. وكان يحمل خريطة أو رسماً

على ما أظن، يقارنها مع الورقة وخبأها في جيبه حالما دخلت عليه).

(صحيح).

(سنستقل بعد إذنك أول قطار إلى سوسكس ونعاين المسألة في العمق ميدانياً).

(وصلنا إلى هورلستون بعد ظهر اليوم ذاته. كانت حديقة مزروعة بأشجار قديمة تحيط بالمنزل، والبحيرة التي أشار إليها تقع قرب الممر على مسافة ياردتين تقريباً من المنزل).

كنت مقتنعاً كل الاقتناع يا واتسون بأن الألغاز الثلاثة متشابكة مع بعضها وأني لو نجحت في قراءة طقس موسغريف بالشكل الصحيح، لحصلت على مفتاح الحل.

(كنت واثقاً بعد قراءة الطقس أن القياسات الواردة فيه ترمز إلى موقع معين تشير إليه الوثيقة. لدينا أو لا مرجعان هما شجرة السنديان وشجرة الدردار.

أما السنديانة، فلا شك فيها لأنه تقع قبالة المنزل مباشرة، إلى الجهة اليمنى وهي أقدم السنديات وأجملها على الإطلاق).

سألت:

(هل من شجر دردار قديمة هنا).

(كانت هناك شجرة قديمة جداً لكن الصاعقة اقتلعتها من مكانها قبل عشر سنوات).

(ألا زلت تذكر أين تحديداً).

(نعم، طبعاً).

(أنها شجرة الدردار الوحيدة؟).

(ليس من أشجار قديمة أخرى بل الكثير من الزان).

(أريد أن أرى أين كانت).

فقادني زيوني حالاً إلى حيث لا زالت آثار الشجرة على الأرض، من دون أن ندخل المنزل. كانت في منتصف الطريق تقريباً بين السنديانة والمنزل.

وفي هذا تطور مهم لتحقيقي.

سألت:

(أعتقد أنه من الصعب معرفة ارتفاع شجرة الدردار).

(أنا أقول لك: ٦٤ قدما).

استوضحت متعجباً:

(كيف عرفت ذلك؟).

(لأن معلمي الهرم كان يعطيني دائماً تمارين في علم المثلثات، غالباً ما كانت تقضي باحتساب ارتفاع الأشياء. ولما كنت لا أزال فتى، لم تفلت ولا شجرة ولا مبنى في العقار من قياساتي).

أردفت سائلاً:

(هل لي، هل طرح عليك كبير خدمك أبداً هذا السؤال؟).

نظر إلى موسغريف متعجباً:

(الآن وقد ذكرت الموضوع، نعم أذكر أن برنتون سألني فعلا عن ارتفاع الشجرة قبل أشهر بعد جدل مع الخادمة بهذا الشأن).

كان هذا خبراً ساراً يا واتسون لأنه أثبت لي أني على الطريق الصحيح. نظرت إلى الشمس فرأيتها واطنة في السماء، مما يعني أنه

في غضون أقل من ساعة، ستصبح فوق أعلى أغصان السنديانة. فتتحقق بالتالي إحدى الشروط في الطقس.

بقي أن أجد المكان الذي سيقع فيه أقصى طرف الظل عندما يغيب عن شجرة الدردار).

(لكنه أكر صعب يا هولمز في ظل غياب الشجرة).

(صحيح، لكني ذهبت برفقة موسغريف إلى مكتبه وصنعت بنفسي هذا الوتد الذي ربطت فيه هذا الخيط الطويل، عاقدا إياه كل ياردة. ثم تناولت طولين من قصبة صيد يوازيان ٦ أقدام وعدت إلى زبوني إلى حيث كانت شجرة الدردار. كانت الشمس تلامس أعلى الشجرة.

ثبت القصبة جيداً عند الطرف وحددت اتجاه الظل وقسته. فبلغ طوله ٩ أقدام).

(أصبحت العملية الحسابية سهلة عندها. تصور مدى سروري يا واتسون عندما رأيت على بعد إنشين من الوتد انخفاضاً مخروطياً على الأرض، فأدركت أنها العلامة التي وضعها برنتون بحساباته

وهكذا توصلت إلى المكان المحدد في الطقس).

(لكني لم أشعر أبداً بخيبة أمل كهذه يا واتسون. إذ بدا لي لبرهة أنه ثمة خطأ فادح في حساباتي.

فشمس المغيب تنير الممر ورأيت على ضوئها أن الحجارة الرمادية التي تأكلتها الأقدام والتي رصف بها الممر. محكمة التثبيت ولم ينتزعها أحد منذ سنين طويلة.

لحسن الحظ أن موسغريف، الذي بدأ يقتنع بتصرفاتي وأصبح متحمساً مثلي تماماً، أخرج الوثيقة من جيبه للتحقق من حساباتي).

صرخ:

(وتحته. لقد نسيت عبارة وتحته).

اعتقدت أنها تعني أن علينا أن نحفر في الأرض لكني أرى الآن أني أخطأت الظن. صرخت قائلاً:

(هل توجد خلية تحت هذا).

(نعم، قديمة قدم المنزل. نصلها من هنا، عبر هذا الباب).

(هبطنا سلما حجريا لولبيا بينما أضاء زميلي مصباحاً كبيراً كان على برميل في إحدى الزوايا، فأدركت في حينها أننا وصلنا أخيراً إلى المكان الصحيح).

صرخ موسغريف:

(يا إلهي! إنه لفاع برنتون. لقد رأيته يلف به عنقه. ماذا كان هذا النذل يفعل هنا؟).

اقترحت أن يحضر بعض رجال الشرطة المحلية ثم حاولت رفع الحجر بواسطة ربطة العنق.

لكني لم أنجح إلا في إزاحته قليلاً. تابعت المحاولة إلى أن أزحته جانبا فبدت تحته فجوة سوداء، نظرنا جميعنا عبرها بينما أنزل موسغريف المصباح من إحدى الجهات.

كانت غرفة صغيرة بعمق ٧ أقدام وارتفاع ٤ أقدام تقريباً. وعثرنا في إحدى زواياها على علبة خشبية.

كانت مكسوة بطبقة سميكة من الغبار وقد أكلت الرطوبة والديدان الخشب فنمت على إحدى جوانبها مجموعة من الفطريات.

وجدنا أيضاً عدداً من الأسطوانات المعدنية، هي عملة قديمة على ما يبدو، كهذه التي معي، مبعثرة في قعر العلبة من دون أي شيء آخر.

(لكن عيوننا تحولت عندها نحو وجه رجل يرتدي سترة سوداء، عند طرف العلبة، يحيطها بذراعيه.

وكانت هذه الوضعية قد حبست كل الدم الراكد في وجهه. كل شيء من طوله وثيابه وشعره كان يدل بعدما سحبنا الجثة إلى أنه كبير الخدم المفقود.

لقد توفي منذ أيام لكن ما من جرح أو صدمة تدل على أنه لقي هذه النهاية المأساوية.

وهكذا وجدنا أنفسنا، بعدما سحبنا الجثة إلى خارج الخلية، أمام مشكلة أكثر تعقيداً من تلك التي قادتنا أساساً إلى هنا).

أعترف يا واتسون أن تحقيقاتي قد خيبت لي آمالي حتى الآن. اعتقدت أني سأحل المسألة بعدما عثرت على المكان المحدد في الطقس.

صحيح أننا عرفنا مصير برنتون، لكن عليَّ الآن أن أعرف ما الذي أدى إليه وما الدور الذي لعبته تلك الشابة المختفية. جلست على برميل صغير في الزاوية ورحت أستعرض مجريات الأحداث.

أنت أدري بمنهج عملي في مثل هذه الحالات:

أتصور نفسي مكان الشخص المعني وأحاول أن أتصور ما الذي أفعله أنا في نفس الظروف.

كان برنتون يعلم أن شيئاً قيماً مخبأ في مكان ما، توصل إلى كشفه. وتبين له أن الحجر الذي يفيه ثقيل جداً ويعجز عن إزاحته بمفرده. ماذا يفعل؟

لا يمكنه الاستعانة بأي أحد كان بل بشخص يثق به. من يا ترى؟

تلك الفتاة مولعة به؛ فما كان منه إلا أن يتقرب من هويلز مجدداً ليحاول استمالتها كشريكة له. هكذا إذا، حضرا معاً ليلاً إلى الخلية ليزيحاً الحجر بتضافر جهودهما. كنت أتبع تحركاتهما كما لو كنت معهما.

(لا شك أنهما لم يستطيعا رفع الحجر. بم استعانا؟

سرعان ما تأكدت شكوكي. لقد رفعا الحجر قليلاً وأدخلاً عبر الفتحة قطعاً من الخشب التي أصبحت تكفي لتسلل أحدهما عبرها).

(ماذا حصل بعدها في تلك المأساة الليلة؟

شخص واحد كان بإمكانه النزول عبر الفتحة وبرنتون كان ذلك الشخص. أما الفتاة، فانتظرته في الأعلى، ثم فتح برنتون العلبة وأعطى شريكته المحتويات -بما أننا لم نعثر عليها- ثم ماذا حصل؟).

أي نار انتقام تحولت فجأة إلى لهيب في نفس تلك الشابة عندما رأت الرجل الذي خانها- أكثر مما اعتقدناه على الأرجح؟

هل صادف أن انزلقت قطعة الخشب فانغلق الحجر على برنتون محولا الخلية إلى مثواه الأخير؟

هل تتحمل فقط مسؤولة كتمانه مصيره المشؤوم؟

أو هل أزاحت بيديها الخشبة معيدة الحجر إلى مكانه؟

هنا يكمن سر اصفرارها وتوتر أعصابها ونوبات الضحك الهيستيرية في صباح اليوم التالي.

لكن ماذا كان في العلبة يا ترى؟

ماذا فعلت به؟

لا شك أنه المعدن القديم والحصى التي استخرجها موسغريف من البحيرة لا شك أنها رمتها هناك حالما سنحت لها الفرصة لإزالة آخر آثار جريمتها.

جلست نحو عشرين دقيقة أفكر مليا في الموضوع. بينما وقف موسغريف شاحب الوجه يتفحص على ضوء مصباحه داخل الفجوة.

قال مشيرا إلى بعض العملات التي تناولها من العلبة:

(هذه عملة تشارلز الأول).

أجبته:

(أرني محتويات الكيس الذي استخرجته من البحيرة).

عدنا إلى مكتبه حيث تفقدت المحتويات. فأدركت حالاً لم يعرها أهمية كبيرة بما أن المعدن كان مسوداً كلياً تقريباً والأحجار فقدت بريقها وتميزها.

حفيت إحداها على كمي وإذا بها تشع كالشرارة في قعر كفي. كان المعدن مشغولاً على شكل حلقة مزدوجة لكنه ملتو ومتغضن بحيث فقد مظهره الأساسي.

(أهنئك على وضع يدك على ذخيرة قيمة جداً ومهمة جداً من الناحية التاريخية، ولو حصل ذلك بطريقة مأساوية).

سأل متعجبا:

ماذا تعني؟

(إنها تاج ملوك إنجلترا القديم).

(التاج!).

نعم. تذكر ما ورد في الطقس:

كيف يسير؟

لمن كان؟

لمن رحل. كان هذا إثر إعدام تشارلز الأول.

(لمن سيكون؟).

لمن يأتي من بعده. أي تشارلز الثاني الذي كان اعتلاؤه العرش متوقعاً. لا شك أن هذا التاج المضرب والمتغضن كان يكلل رؤوس ملوك آل ستيوارت في ما مضي).

سأل موسغريف وهو يعيد الذخيرة إلى كيس الكتان:

(لم لم يستعد تشارلز التاج عندما عاد؟).

لقد وضعت إصبعك على النقطة الوحيدة التي لن نكشف سرها على الأرجح.

يرجع أن أحد آل موسغريف الذي كان يحمل السر توفي في تلك الفترة وترك هذه الورقة خلفه من دون أن يشرح معناها.

وهكذا تم توارثها أبا عن جد حتى يومنا هذا، إلى أن وقعت أخيراً في يد رجل كشف سرها وافتداها بحياته).

هذه هي يا واتسون قصة طقس موسغريف. لا زالوا يحتفظون بالتاج في هورلستون وأنا واثق من أنهم سيرونك إياه لو قلت إنك آت من قبلي. أما الشابة، فاختفى أثرها كلياً ويحتمل أنها غادرت إنجلترا حاملة معها ذكرى جريمتها إلى ما وراء البحار.

تمت